

تأليف

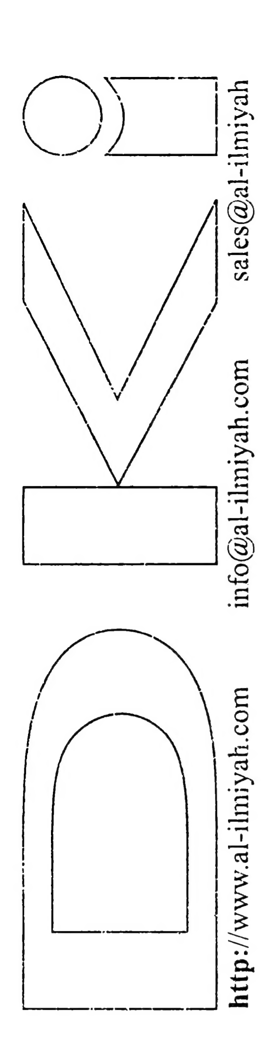
الإمام الشيخ إسماعيل حقّي بن مصطفى
الحنفي الخلْوَتي البروسوي
المتوفى ١١٢٧هـ

ضبطه وصححه وخرّج آياته
عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

الجزء العاشر

المحتوى:
من أول سورة التغابن - إلى آخر سورة الناس





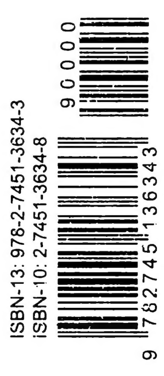
الكتاب : روح البيان في تفسير القرآن Title : RŪḤ AL-BAYĀN FĪ TAFSĪR AL-QUR'ĀN
التصنيف : تفسير قرآن Classification: Exegesis of the Qur'an
المؤلف : الشيخ إسماعيل البروسوي (ت ١١٢٧ هـ) Author: Al-Shaykh ISmail Al-Burusawi (D. 1127 H.)
المحقق : عبداللطيف حسن عبدالرحمن Editor: Abdullatif Hassan Abdulrahman
الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	(10Vols./10Parts) 5344 (١٠أجزاء/١٠ مجلدات)	عدد الصفحات
Size	17 x 24 cm	قياس الصفحات
Year	2018 A.D. - 1439 H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon لبنان	بلد الطباعة
Edition	4th (2 Colors) الرابعة (لونان)	الطبعة

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٠٠٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ٠٠٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



٦٤ ـ سورة التغابن

مختلف في كونها مكية أو مدنية وآيها ثمان عشرة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾.

﴿**يسبح لله ما في السماوات**﴾ من الروحانيات ﴿**وما في الأرض**﴾ من الجسمانيات أي: ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيهاً مستمراً والمراد إما تسبيح الإشارة الذي هو الدلالة فتعم ما كل حي وجماد أو تسبيح العبارة الذي هو أن يقول سبحان الله فتعمهما أيضاً عند أهل الله وعن بعضهم سمعت تسبيح الحيتان في البحر المحيط يقلن: سبحان الملك القدوس رب الأقوات والأرزاق والحيوانات والنباتات ولولا حياة كل شيء من رطب ويابس ما أخبر عليه السلام أنه يشهد للمؤذن وكم بين الله ورسوله مما جميع المخلوقات عليه من العلم بالله والطاعة له والقيام بحقه فآمن بعضهم وصدق وقبل ما أضافه الله إلى نفسه وما أضاف إليه رسوله وتوقف بعضهم فلم يؤمنوا ولم يسمعوا وتأولوا الأمر بخلاف ما هو عليه وقصدهم بذلك أن يكونوا من المؤمنين وهم في الحقيقة من المكذبين لترجيحهم حسهم على الإيمان بما عرفه لهم ربهم لما لم يشاهدوا ذلك مشاهدة عين وعن بعض العارفين في الآية أي: يسبح وجودك بغير اختيارك وأنت غافل عن تسبيح وجودك له وذلك أن وجودك قائم في كل لمحة بوجوده يحتاج إلى الكينونة بتكوينه إياه أين قلبك ولسانك إذا اشتغل بذكر غيرنا وفي الحقيقة لم يتحرك الوجود إلا بأمره ومشيئته وتلك الحركة إجابة داعي القدم في جميع مراده وذلك محض التقديس ولكن لا يعرفه إلا العارف بالوحدانية. ﴿**له الملك**﴾ الدائم الذي لا يزول وهو كمال القدرة ونفاذ التصرف وبالفارسية مروراست بادشاهى كه ارض وسما وما بينهما بيافريد ﴿**وله الحمد**﴾ أي: حمد الحامدين وهو الثناء بذكر الأوصاف الجميلة والأفعال الجزيلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على تأكيد الاختصاص وإزاحة الشبهة بالكلية فإن اللام مشعر بأصل الاختصاص قدم أو أخر أي: له الملك وله الحمد لا لغيره إذ هو المبدىء لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه المتصرف فيه كيف يشاء وهو المولى لأصول النعم وفروعها ولولا أنه أنعم بها على عباده لما قدر أحد على أدنى شيء فالمؤمنون يحمدونه على نعمه وله الحمد في الأولى والآخرة وأما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وتسليط منه وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده فللبشر ملك وحمد من حيث الصورة لا من حيث الحقيقة.

باغير أو اضافت شاهى بود چنان   بريك دوچوب پاره زشطرنج نام شاه

﴿وهو على كل شيء قدير﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل سواء فهو القادر على الإيجاد والإعدام والإسقام والإبراء والإعزاز والإذلال والتبييض والتسويد ونحو ذلك من الأمور الغير المتناهية قال بعضهم: قدرة الله تصلح للخلق وقدرة العبد تصلح للكسب فالعبد لا يوصف بالقدرة على الخلق والحق لا يوصف بالقدرة على الكسب فمن عرف أنه تعالى قادر خشي من سطوات عقوبته عند مخالفته وأمل لطائف نعمته ورحمته عند سؤال حاجته لا بوسيلة طاعته بل بكرمه ومننه وفي «التأويلات النجمية»: ينزه ذاته المسبحة المقدسة عن الأمثال والأضداد والأشكال والأنداد ما في السماوات القوى الروحانية وما في أرض القوى الجسمانية له ملك الوجود المطلق وله الحمد على نعمة ظهوره في الوجود المقيد وهويته المطلقة قادرة على ظهورها بالإطلاق والتقييد وهي في عينها منزهة عنهما وهما نسبتان اعتباريتان ﴿هو الذي خلقكم﴾ خلقا بديعاً حاوياً لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك ﴿فمنكم كافر﴾ أي: فبعضكم أو فبعض منكم مختار للكفر كاسب له حسبما تقتضيه خلقته ويندرج فيه المنافق لأنه كافر مضمر وكان الواجب عليكم جميعاً أن تكونوا مختارين للإيمان شاكرين لنعمة الخلق والإيجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنهم منه بل تشعبتم شعباً وتفرقتم فرقاً قال في «فتح الرحمن»: الكفر فعل الكافر والإيمان فعل المؤمن والكفر والإيمان اكتساب العبد لقول النبي عليه السلام «كل مولود يولد على الفطرة» وقوله ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله إياه يختار الكفر لأن الله تعالى قدر عليه ذلك وعلمه منه وهذا طريق أهل السنة انتهى. وفي الآية رد للدهرية والطبيعية فإنهم ينكرون خالقية الله تعالى والخالق هو المخترع للأعيان المبدع لها.

«حكي»: أن سنياً ناظر معتزلياً في مسألة القدر، فقطف المعتزلي تفاحة من شجرة وقال للسني: أليس أنا الذي قطفت هذه فقال له السني إن كنت الذي قطفتها فردها على ما كانت عليه فأفحم المعتزلي وانقطع، وإنما ألزمه بذلك لأن القدرة التي يحصل بها الإيجاد لا بد أن تكون صالحة للضدين، فلو كان تفريق الأجزاء بقدرته لكان في قدرته وصلها ومن أدب من عرف أنه سبحانه هو المنفرد بالخلق والإيجاد أن لا يجحد كسب العبد ولا يطوي بساط الشرع في الابتلاء بالأمر والنهي ولا يعتقد أن للعبد على الله حجة بسبب ذلك.

حكي: أن بعض الأكابر تعجب من تجاسر الملائكة في قولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] ثم قال: ما عليهم شيء هو أنطقهم فبلغ قوله يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه فقال: صدق هو أنطقهم ولكن انظر كيف أفحمهم بين بذلك أن مجرد الخلق من جهة الحق لا يكون عذراً للعبيد في سقوط اللوم عنهم ﴿ومنكم مؤمن﴾ مختار للإيمان كاسب له ويندرج فيه مرتكب الكبيرة الغير التائب، والمبتدع الذي لا تفضي بدعته إلى الكفر، وتقديم الكفر عليه لأنه الأنسب بمقام التوبيخ والأغلب فيما بينهم ولذا يقول الله في يوم الموقف: يا آدم أخرج بعث النار يعني ميز أهلها المبعوث إليها قال: وما بعث النار أي: عدده قال الله: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وفي التنزيل ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقليل من عبادي الشكور والإيمان أعظم شعب الشكر.

روي: أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلني من القليل فقال له عمر: ما هذا الدعاء فقال الرجل: إني سمعت الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] فإنما أدعو أن يجعلني من ذلك القليل فقال عمر: كل الناس أعلم من عمر.

يقول الفقير: هذا القول من عمر من قبيل كسر النفس واستقصار العلم والمعرفة واستقلالهما على ما هو عادة الكمل فلا ينافي كماله في الدين والمعرفة حتى يكون ذلك سبباً لجرحه في باب الخلافة كما استدل به الطوسي الخبيث على ذلك في كتاب التجريد له وفي الحديث «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً». ومن هنا قال بعضهم: قوم طلبوه فخذلهم وقوم هربوا منه فأدركهم. إبراهيم خواص قدس سره كفت درباديه وقتي بتجريد مي رفتم پيرى راديدم دركوشهٔ نشسته وكلاهي برسر نهاده وبزاري وخواري مي كريست كفتم يا هذا توكيستي كفت من ابو مره ام كفتم چرامى كريى كفت كيست بكريستن سزا وارتراز من چهل هزار سال بدان دركاه خدمت كرده ام ودرافق أعلى ازمن مقدم تركس نبودا كنون تقدير إلهي وحكم غيبي نكركه مرابچه روز آورد آنكه كفت اي خواص نكر تابدين جهد وطاعت خويش غره نباشى كه بعنايت واختيار اوست نه بجهد وطاعت بنده بمن يك فرمان آمدكه آدم راسجده كن نكردم وآدم را فرمان آمدكه ازان درخت مخور خورد ودركار آدم عنايت بود عذرش بنهادند وزلت اودر حساب نياوردند ودركار من عنايت نبود طاعت ديرينهٔ من زلت شمردند.

من لم يكن للوصال أهلا فكل إحسانه ذنوب

ومن هنا يعرف سر قول الشيخ سعدي:

هركه در سايهٔ عنايت اوست كنهش طاعتست ودشمن دوست

﴿والله بما تعملون﴾ مطلقاً ﴿بصير﴾ فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الإيمان والطاعة وإياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان قال القاسم رحمه الله: خاطبهم مخاطبة حال كونهم ذراً فسماهم كافرين ومؤمنين في أزله وأظهرهم حين أظهرهم على ما سماهم وقدر عليهم فأخبر بأنه علم ما يعملونه من خير وشر.

واعلم أن الله تعالى يعلم لكنه يحلم ويقدر لكنه يغفر إلا أن من أقصته السوابق لم تدنه السوائل ومن أقعده جده لم ينفعه كده قيل: إن بعض الأكابر بلغه أن يهودياً أوصى أن يحمل من بلده إذا مات ويدفن في بيت المقدس فقال أيكابر الأزل أما علم أنه لو دفن في فراديس العلى لجاءت جهنم بأنكالها وحملته إلى نفسها والناس على أربعة أقسام أصحاب السوابق وهم الذين تكون فكرتهم أبداً فيما سبق لهم من الله لعلمهم أن الحكم الأزلي لا يتغير باكتساب العبيد وأصحاب العواقب وهم الذين يكفرون أبداً فيما يختم به أمرهم فإن الأمور بخواتمها والعاقبة مستورة ولهذا قيل: لا يغرنكم صفاء الأوقات فإن تحتها غوامض الآفات وأصحاب الوقت وهم الذين لا يتفكرون في السوابق ولا في اللواحق أي: العواقب بل يشتغلون بمراعاة الوقت وأداء ما كلفوا من أحكام ولهذا قيل: العارف ابن وقته وقيل: الصوفي من لا ماضي له ولا مستقبل وفي «المثنوي»:

صوفي ابن الوقت باشد أي رفيق نيست فردا كفتن از شرط طريق

والقسم الرابع هم الذين غلب عليهم ذكر الحق فهم مشغولون بشهود الموقت عن مراعاة الوقت وفي الآية إشارة إلى هويته المطلقة عن النسب والإضافات ﴿خلقكم﴾ أي: تجلى لتعيناتكم الجنسية والنوعية والشخصية من غير تقيد وانحصار فمنكم أي: فمن بعض هذه التعينات كافر يستر الحق المطلق بالخلق المقيد ويقول بالتفرقة دفعاً لطعن الطاعن ومن بعض هذه التعينات مؤمن يؤمن بظهور الحق في الخلق ويستر الخلق بالحق ويقول بالجمعية تأنيساً للمكاشفين بالحقائق ﴿والله بما تعملون بصير﴾ من ستر الحق بالخلق دفعاً للطاعن ومن ستر الخلق بالحق تأنيساً للطالب الواجد.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾

﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾ أي: بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية والمراد السموات السبع والأرضون السبع كما يدل عليه التصريح في بعض المواضع قال تعالى: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٣] فإن قلت: ما وجه عدم ذكر العرش والكرسي في أمثال هذه المواضع مع عظم خلقهما قلت: إنهما وإن كانا من السماء لأن السماء هو الفلك والفلك جسم شفاف محيط بالعالم وهما أوسع الأفلاك إحاطة إلا أن آثارهما غير ظاهرة مكشوفة بخلاف السماوات والأرض وما بينهما فإنها أقرب إلى المخاطبين المكلفين ومعلوم حالها عندهم ومكشوفة آثارها ومنفعتها ولهذا قالوا: إن الشمس تنضج الفواكه والقمر يلونها والكواكب تعطيها الطعم إلى غير ذلك مما لا يتناهى على أن التغيرات فيها أظهر فهي على عظم القدرة أدل وقد قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وأكثر هذه الشؤون في عالم الكون والفساد الذي هو عبارة عن السماوات والأرض إذ هما من العنصريات بخلاف العرش والكرسي فإنهما من الطبيعيات ولهذا لا يفنيان ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ الفاء للتفسير أي: صوركم أحسن تصوير وخلقكم في أحسن تقويم وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة فلكم جمال الصورة وأحسن الأشكال ولذا لا يتمنى الإنسان أن يكون صورته على خلاف ما هو عليه لكون صورته أحسن من سائر الصور ومن حسن صورته امتداد قامته وانتصاب خلقته واعتدال وجوده ولا يقدح في حسنه كون بعض الصور قبيحاً بالنسبة إلى بعض لأن الحسن وهو الجمال في الخلق والخلق على مراتب كما قالت الحكماء: شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان ولكم أيضاً جمال المعنى وكمال الخصال:

بدرون تست مصري كه تويى شكر ستانش چه غمست اكرزبيرون مدد شكر نداري

شدۀ غلام صورت بمثال بت پرستان توچو يوسفي وليكن سوى خود نظر نداري

بخدا جمال خود را چو در آينه بيني بت خويش هم توباشي بكسى كذر نداري

والمعتد به هو الحسن المعنوي لأن الله خلق آدم على صورته أي: على الصورة الإلهية

التي هي عبارة عن صفاته العليا وأسمائه الحسنى وإلا فالحسن الصوري يوجد في الكافر أيضاً:

ره راست بايدنه بالاي راست كه كافرهم ازروى صورت چوماست

نعم قد يوجد سيرة حسنة وخلق حميد في الكافر كعدل أنوشروان مثلاً لكن المعتد به ما يكون مقارناً بالإيمان الذي هو أحسن السير قال بعض الكبار: كل من كان فيه صفة العدل فهو ملك وإن كان الحق تعالى ما استخلفه بالخطاب الإلهي، فإن من الخلفاء من أخذ المرتبة بنفسه من غير عهد إلهي إليه بها وقام بالعدل في الرعايا استناداً إلى الحق كما قال عليه السلام: «ولدت في زمن الملك العادل» يعني: كسرى فسماه ملكاً ووصفه بالعدل ومعلوم أن كسرى في ذلك العدل على غير شرع منزل لكنه نائب للحق من وراء الحجاب وخرج بقولنا وقام بالعدل في الرعايا من لم يقم بالعدل كفرعون وأمثاله من المنازعين لحدود الله والمغالبين لجنابه بمغالبة رسله فإن هؤلاء ليسوا بخلفاء الله تعالى كالرسل ولا نواباً له، كالملوك العادلة بل هم إخوان الشياطين قال الحسين رحمه الله: أحسن الصور صورة أعتقت من ذل كن وتولى الحق تصويرها بيده ونفخ فيها من روحه وألبسها شواهد النعت وحلاها بالتعليم شفاهاً وأسجد لها الملائكة المقربين وأسكنها في جواره، وزين باطنها بالمعرفة وظاهرها بفنون الخدمة والجمع في قوله **﴿فأحسن صوركم﴾** باعتبار الأنواع لأن صورة الرومي ليست كصورة الهندي إلى غير ذلك والإفراد وهو ظاهر **﴿وإليه المصير﴾** أي: وإلى الله الرجوع في النشأة الأخرى لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فأحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له حتى يجازيكم بالإنعام لا بالانتقام فكم من صورة حسناء تكون في العقبى شوهاء بقبح السريرة والسيرة وكم من صورة قبيحة تكون حسناء بحسنهما.

چه غم زمنقصت صورت أهل معنى را چوجان زروم بودكوتن ازحبش مى باش

وقد ثبت «أن ضرس الكافر يوم القيامة مثل جبل أحد وإن غلظ جسده مسافة ثلاثة أيام وأنه يسوء خلقه فتغلظ شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته وأن أهل الجنة ضوء وجوههم كضوء القمر ليلة البدر أو على أحسن كوكب دري في السماء وهم جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين فطوبى لأهل اللطافة وويل لأهل الكثافة.

اعلم أن الله تعالى خلق سماوات الكليات وأرض الجزئيات بمظهرية الحق وظهوره فيهما بحسب استعداد الكل لا بحسبه وتجلى في مظاهر صور الإنسان بحسبه أي: بجميع الأسماء والصفات ولذا قال تعالى: **﴿فأحسن صوركم﴾** أي: جعل صوركم أحدية جمع جميع المظهريات الجامعة لجميع المظاهر السماوية العلوية والأرضية السفلية كما قال عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته» يعني: أورد الاسم الجامع في عنوان الخلق إشارة إلى تلك الجمعية فكان مصير الإنسان إلى الهوية الجامعة لجميع الهويات لكن حصل التفاوت بين أفراده بحسب التجلي والاستتار والفعل والقوة فليس لأهل الحجاب أن يدعي كمالات أهل الكشف للتفاوت المذكور فيا عجباً من إنسان خفي عليه ما دفن في أرض وجوده من كنز إلهي غيبي من نال إليه لم يفتقر أبداً وكيف قنع بقشر مع إمكان تحصيل اللب وكيف أقام في الحضيض مع سهولة العروج إلى الأوج.

چه شكرهاست درين شهركه قانع شده اند شاهبازان طريقت بمقا مسكى م

﴿يعلم ما في السماوات والأرض﴾ من الأمور الكلية والجزئية والأحوال الجلية والخفية

﴿ويعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ أي: ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الأمور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لأنه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما قال في «برهان القرآن»: إنما كرر ما في أول السورة لاختلاف تسبيح أهل الأرض وأهل السماء في الكثرة والقلة والبعد والقرب من المعصية والطاعة وكذلك اختلاف ما تسرون وما تعلنون فإنهما ضدان ولم يكرر ما في السماوات والأرض لأن الكل بالإضافة إلى علم الله جنس واحد لا يخفى عليه شيء ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ أي: هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه وبالفارسية وخداي تعالى داناست بآنچه درسينهاست ازخواطر وأفكار.

وإنما قيل لها ذات الصدور وصاحبتها لملابستها لها وكونها مخزونة فيها ففي الآية ترقٍ من الأظهر إلى الأخفى لأنه عالم بما في السماوات وما في الأرض وبما يصدر من بني آدم سراً وعلناً وبما لم يصدر بعد بل هو مكنون في الصدور وإظهار الجلالة للإشعار بعلية الحكم وتأكيد استقلال الجملة قبل وتقديم القدرة على العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتفاق والاختصاص ببعض الجهات الظاهرة مثل كون السماء في العلو والأرض في السفل أو الباطنة مثل أن يكون السماء متحركة والأرض ساكنة إلى غير ذلك فإن للمتكلمين مسلكين في إثبات العلم الأول: أن فعله تعالى متقن أي: محكم خال عن وجوه الخلل ومشتمل على حكم ومصالح متكثرة وكل من فعله متقن فهو عالم والثاني: أنه فاعل بالقصد والاختيار لتخصيص بعض الممكنات ببعض الأنحاء ولا يتصور ذلك إلا مع العلم وفي قوله ﴿ما تسرون﴾ إشارة إلى علماء الظاهر من الحكماء والمتكلمين وإلى علومهم الفكرية النظرية وما يسرون فيها من عقائدهم الفاسدة ومقاصدهم الكاسدة وفي قوله ﴿وما تعلنون﴾ إشارة إلى علماء الباطن من المشايخ والصوفية وإلى معارفهم ومواجيدهم الذوقية الكشفية وما يظهرون منها من الكرامات وخوارق العادات والله عليم بصدور عمل كل واحد من صدور قلوبهم بحسب الرياء والإخلاص والحق والباطل.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾

﴿ألم يأتكم﴾ أيها الكفرة والألف للاستفهام ولم للجحد ومعناه التحقيق ﴿نبأ الذين كفروا﴾ أي: خبر قوم نوح ومن بعدهم من الأمم المصرة على الكفر ﴿من قبل﴾ أي: قبلكم فيكون متعلقاً بكفروا أو قبل هذا الوقت أو هذا العصيان والمعاداة فيكون ظرفاً لألم يأتكم ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ عطف على كفروا والذوق وإن كان في التعارف لقليل لكنه مستصلح للكثير والوبال الثقل والشدة المترتبة على أمر من الأمور والوبل والوابل المطر الثقيل القطار مقابل الطل وهو المطر الخفيف وأمرهم كفرهم فهو واحد الأمور عبر عنه بذلك للإيذان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة والمعنى: فذاقوا في الدنيا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم من الضرر والعقوبة وأحسوه إحساس الذائق المطعوم يعني: پس چشيدن كران باريء خود ودشواريء سر انجام خويش وضرر كفر وعقوبت اودردنيا بغرق وريح صرصر وعذاب يوم الظلة وأمثال آن.

وفي إيراد الذوق رمز إلى أن ذلك المذوق العاجل شيء حقير بالنسبة إلى ما سيرون من العذاب الآجل ولذلك قال تعالى: ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ أي: مؤلم لا يقادر قدره وفيه إخبار بأن ما أصابهم في الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم وإلا لم يعذبوا في الآخرة بخلاف المؤمنين فإن ماأصابهم في الدنيا من الآلام والأوجاع والمصائب كفارة لذنوبهم على ما ورد في الأخبار الصحيحة ﴿ذلك﴾ أي: ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة ﴿بأنه﴾ أي: بسبب أن الشأن ﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أي: بالمعجزات الظاهرة والباء إما للملابسة أو للتعدية ﴿فقالوا﴾ عطف على كانت ﴿أبشر﴾ آيا آدميان مثل ما ﴿يهدوننا﴾ راه نمايند مارا.

أي: قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي أتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشر وآدمي مثلنا يهدينا ويرشدنا إلى الدين أو إلى الله والتقرب منه كما قالت ثمود: أبشراً منا واحداً نتبعه أنكروا أن يكون الرسول بشراً ولم ينكروا أن يكون المعبود حجراً وقد أجمل في الحكاية فأسند القول إلى جميع الأقوام وأريد بالبشر الجنس، فوصف بالجمع كما أجمل الخطاب والأمر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وارتفاع بشر على أنه فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده فيكون من باب الاشتغال وهو أولى من جعله مبتدأ وما بعده خبراً لأن أداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهراً أو مضمراً قال القاشاني: لما حجبوا بصفات نفوسهم عن النور الذي هو به يفضل عليهم بما لا يقاس ولم يجدوا منه إلا البشرية أنكروا هدايته فإن كان كل عارف لا يعرف معروفه إلا بالمعنى الذي فيه فلا يوجد النور الكمالي، إلا بالنور الفطري ولا يعرف الكمال إلا الكامل ولهذا قيل: لا يعرف الله غير الله وكل طالب وجد مطلوبه بوجه ما وإلا لما أمكنه التوجه نحوه وكذا كل مصدق بشيء فإنه واجد للمعنى المصدق به بما في نفسه من ذلك المعنى فلما لم يكن فيهم شيء من النور الفطري، أصلاً لم يعرفوا منه الكمال فأنكروه ولم يعرفوا من الحق شيئاً ولم يحدث فيهم طلب حتى يحتاجوا إلى الهداية فأنكروا الهداية، وقال بعض العارفين: معرفة مقام الأولياء أصعب من الممكن من معرفة الله تعالى لأن الله تعالى معروف بكماله وجماله وجلاله وقهره بخلاف الولي الكامل فإنه ملآن من شهود الضعف يأكل ويشرب ويبول مثل غيره من الخلق ولا كرامة له تظهر إلا بأن يناجي ربه وأنى للخلق معرفة مقامه ووالله لو كشف للخلق عن حقيقة الولي لعبد كما عبد عيسى عليه السلام ولو كشف لهم عن مشرقات نوره لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات نور قلبه، ولكن في ستر الحق تعالى لمقام الولي حكم وأسرار وأدنى ما في الستر أن لا يتعرض أحد لمحاربة الله تعالى إذا آذاهم بعد أن عرفهم أنهم أولياء الله فكان ستر مقامهم عن الخلق رحمة بالخلق وفتحاً لباب اعتذار من آذاهم من غالب الخلق فإن الأذى لم يزل من الخلق لهم في كل عصر لجهلهم بمقامهم ﴿فكفروا﴾ أي: بالرسل بسبب هذا القول لأنهم قالوه استصغاراً لهم ولم يعلموا الحكمة في اختيار كون الرسل بشراً ﴿وتولوا﴾ عن التدبير فيما أتوا به من البينات وعن الإيمان بهم ﴿واستغنى الله﴾ أي: أظهر استغناءه عن إيمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك وقال سعدي المفتي: هو حال بتقدير قد وهو بمعنى غني الثلاثي والمراد كمال الغنى إذ الطلب يلزمه الكمال ﴿والله غني﴾ عن العالمين فضلاً عن إيمانهم

وطاعته ﴿حميد﴾ يحمده كل مخلوق بلسان الحال ويدل على اتصافه بالصفات الكمالية أو يحمده أولياؤه وإن امتنع أعداؤه والحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال ومن عرف أنه الحميد في ذاته وصفاته وأفعاله شغله ذكره والثناء عليه فإنه العبد وإن كثرت محامده من عقائده وأخلاقه وأفعاله وأقواله فلا يخلو عن مذمة ونقص إلا النبي عليه السلام فإنه محمد وأحمد ومحمود من كل وجه وله المحمدة والكمال وفي «الأربعين الإدريسية» يا حميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه قال السهروردي رحمه الله: من داومه يحصل له من الأموال ما لا يمكن ضبطه ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ الزعم ادعاء العلم فمعنى أزعم زيداً قائماً أقول إنه كذا ففي تصدير الجملة بقوله أزعم إشعار بأنه لا سند للحكم سوى ادعائه إياه. وقوله به ويتعدى إلى مفعولين تعدي العلم وقد قام مقامهما أن المخففة مع ما في حيزها فأن مخففة لا ناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله والمراد بالموصول كفار مكة أي: زعموا وادعوا أن الشان لن يبعثوا بعد موتهم أبداً، ولن يقاموا ويخرجوا من قبورهم وعن شريح رضي الله عنه لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا قال بعض المخضرمين لابنه: هب لي من كلامك كلمتين زعم وسوف انتهى. ويكره للرجل أن يكثر لفظ الزعم وأمثاله فإنه تحديث بكل ما سمع وكفى بذلك كذباً وإذا أراد أن يتكلم تكلم بما هو محقق لا بما هو مشتبه وبذلك يتخلص من أن يحدث بكل ما سمع فيكون معصوماً من الكذب كذا في «المقاصد الحسنة». ﴿قل﴾ رداً لهم وإبطالاً لزعمهم بإثبات ما نفوه ﴿بلى﴾ أي: تبعثون فإن بلى لإيجاب النفي الذي قبله وقوله: ﴿وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ أي لتحاسبن وتجزون بأعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الأمر واردة لتأكيد ما أفاده كلمة بلى من إثبات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين فقوله وربي قسم لعل اختياره ههنا لما أن في البعث إظهار كمال الربوبية المفيدة لتمام المعرفة وإيثار دوام التربية بالنعم الجسمانية الظاهرة والنعم الروحانية الباطنة وقوله لتبعثن أصله لتبعثون حذفت واوه لاجتماع الساكنين بمجيء نون التأكيد وإن كان على حده طلباً للخفة واكتفاء بالضمة وهو جواب قسم قبله مؤكد باللام المؤكدة للقسم وثم لتراخي المدة لطول يوم القيامة أو لتراخي الرتبة وظاهر كلام «اللباب» أن يكون وربي قسماً متعلقاً بما قبله قد تم الكلام عنده وحسن الوقف عليه ويجعل لتبعثن بما عطف عليه جواب قسم آخر مقدر مستأنف لتأكيد الأول لعل فائدة الإخبار بالقسم مع أن المشركين ينكرون الرسالة كما ينكرون البعث إبطال لزعمهم بالتشديد والتأكيد ليتأثر من قدر الله له الإنصاف وتتأكد الحجة على من لم يقدر له وكان محروماً بالكلية.

﴿وذلك﴾ أي ما ذكر من البعث والجزاء. ﴿على الله يسير﴾ أي سهل على الله لتحقق القدرة التامة وقبول المادة وإذا كان الأمر كذلك.

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿فآمنوا﴾ بصرف إرادتكم الجزئية إلى أسباب حصول الإيمان ﴿بالله﴾ الباعث من القبور المجازي على كل عمل ظاهر أو مستور ﴿ورسوله﴾ محمد ﷺ الذي أخبر عن شؤون الله تعالى

وصفاته ﴿والنور الذي أنزلنا﴾ أي أنزلناه على رسولنا وهو القرآن بإعجازه بين نفسه أنه حق نازل، من عند الله، مبين لغيره ومظهر للحلال والحرام، كما أن النور كذلك والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية ﴿والله بما تعملون﴾ من الامتثال بالأمر وعدمه ﴿خبير﴾ فمجازيكم عليه ﴿يوم يجمعكم﴾ ظرف لتنبؤن وما بينهما اعتراض أو مفعول لأذكر الظاهر أن الخطاب لمن خوطب أولاً بقوله ﴿ألم يأتكم﴾. ﴿ليوم الجمع﴾ ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون من الجن والإنس وأهل السماء والأرض أي لأجل ما فيه من الحساب والجزاء وهو يوم القيامة فاللام للعهد أي جمع هذا اليوم عن النبي ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين جاء منادٍ ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي بصوت ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل: المراد جمع الله بين العبد وعمله وقيل: بين الظالم والمظلوم أو بين كل نبي وأمته ﴿ذلك﴾ اليوم ﴿يوم التغابن﴾ تفاعل من الغبن وهو أن تخسر صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء والتغابن أن يغبن بعضهم بعضاً ويوم القيامة يوم غبن بعض الناس بعضاً بنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفيه تهكم لأن نزولهم ليس بغبن إن كون نزول الأشقياء منازل السعداء من النار لو كانوا أشقياء غبناً باعتبار الاستعارة التهكمية وإلا فهم بنزولهم في النار لم يغبنوا أهل الجنة وفي الحديث: «ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة» وتخصيص التغابن بذلك اليوم للإيذان بأن التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه ما لا يقع في أمور الدنيا فاللام للعهد الذي يشار به عند عدم المعهود الخارجي إلى الفرد الكامل أي: التغابن الكامل العظيم الذي لا تغابن فوقه.

قال القاشاني: ليس التغابن في الأمور الدنيوية فإنها أمور فانية سريعة الزوال ضرورية الفناء لا يبقى شيء منها لأحد فإن فات شيء من ذلك أو أفاته أحد ولو كان حياته فإنما فات أو أفيت ما لزم فواته ضرورة فلا غبن ولا حيف حقيقة وإنما الغبن والتغابن في إفاتة شيء لو لم يفته لبقي دائماً وانتفع به صاحبه سرمداً وهو النور الكمالي والاستعدادي فتظهر الحسرة والتغابن هناك في إضاعة الربح ورأس المال في تجارة الفوز والنجاة كما قال: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] فمن أضاع استعداده أو اكتسب منه شيئاً ولم يبلغ غايته كان مغبوناً بالنسبة إلى الكمال التام وكأنما ظفر ذلك الكامل بمقامه ومرامه وبقي هذا متحسراً في نقصانه انتهى. وقال الراغب: يوم التغابن يوم القيامة لظهور الغبن في المبايعة المشار إليها بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] وبقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] وقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] فلعلهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوا من ذلك جميعاً وسئل بعضهم عن يوم التغابن فقال تبدو الأشياء بخلاف مقاديرها في الدنيا وقال بعضهم: يظهر يومئذٍ غبن الكافر بترك الإيمان وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان وإذا دخل العارف الجنة ورآه صاحب الحال فإنه يراه كما يرى الكوكب الدري في السماء فيتمنى أن يكون

له مثل مرتبة العارف فلا يقدر عليها فيتحسر على تفويته أسباب ذلك في الدنيا وقد ورد «لا يتحسر أهل الجنة في الجنة إلا ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها» قيل: أشد الناس غبناً يوم القيامة ثلاثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه، وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله وعبد أطاع الله بقوة مال سيده وعصى الله سيده فدخل العبد الجنة بقوة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله، وولد ورث مالاً من أبيه وأبوه شح به وعصى الله فيه فدخل أبوه ببخله النار ودخل هو بإنفاقه في الخير الجنة.

بخور اي نيك سيرت وسره مرد كان نكون بخت كرد كرد ونخورد

وفي الحديث «لا يلقى الله أحد إلا نادماً إن كان مسيئاً إن لم يحسن وإن كان محسناً إن لم يزدد» وقال بعض العارفين: لا يجوز الترقي في الآخرة إلا في مقام حصله المكلف في هذه الدار فمن عرف شيئاً وتعلقت همته بطلبه كان له إما عاجلاً وإما آجلاً فإن ظفر به في حياته كان ذلك اختصاصاً واعتناء وإن لم يظفر به في حياته معجلاً كان مدخراً له بعد المفارقة يناله ثم ضرورة لازمة ومن لم يتحقق بمقام في هذا الموطن لم يظفر به ثم لذلك سمي يوم التغابن لانقطاع الترقي فيه فاعلم ذلك وقال بعضهم الغبن كل الغبن أن لا يعرف الصفاء في الكدورة واللطف في صورة القهر فتوحش عن الحق بالتفرقة وهو في عين الجمع والإنس وأيضاً يقع الغبن لمن كان مشغولاً بالجزاء والعطاء ورؤية الأعواض وأما من كان مشغولاً بمشاهدة الحق فقد خرج عن حد الغبن وأيضاً يقع الكل في الغبن إذا عاينوا الحق بوصفه وهم وجدوه أعظم وأجل مما وجدوه في مكاشفاتهم في الدنيا فيكونون مغبونين حيث لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته وإن كانوا لا يعرفونه أبداً حق معرفته وأي غبن أعظم من هذا إذ يرونه ولا يصلون إلى حقيقة وجوده وقال ابن عطاء رحمه الله: تغابن أهل الحق على مقادير الضياء عند الرؤية والتجلي وقال بعض الكبار يوم شهود الحق في مقام الجمعة يوم غبن أهل الشهود والمعرفة على أهل الحجاب والغفلة فإنهم في نعيم القرب والجمع وأهل الحجاب في جحيم البعد والفراق **﴿ومن يؤمن بالله﴾** بالصدق والإخلاص بحسب نور استعداده. **﴿ويعمل صالحاً﴾** أي: عملاً صالحاً بمقتضى إيمانه فإن العمل إنما يكون بقدر النظر وهو أي: العمل الصالح ما يبتغي به وجه الله فرضاً أو نفلاً.

روي أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أراد أن يدخل الحمام فطلب الحمامي الأجرة فتأوه وقال: إذا لم يدخل أحد بيت الشيطان بلا أجرة فأنى يدخل بيت الرحمن بلا عمل **﴿يكفر﴾** أي: يغفر الله ويمحو **﴿عنه سيئاته﴾** يوم القيامة فلا يفضحه بها **﴿ويدخله﴾** بفضله وكرمه لا بالإيجاب **﴿جنات﴾** على حسب درجات أعماله **﴿تجري من تحتها﴾** أي: من تحت قصورها أو أشجارها **﴿الأنهار﴾** الأربعة **﴿خالدين فيها﴾** حال من الهاء في يدخله وحد أولاً حملاً على لفظ من ثم جمع حملاً على معناه **﴿أبداً﴾** نصب على الظرف وهو تأكيد للخلود **﴿ذلك﴾** أي: ما ذكر من تكفير السيئات وإدخال الجنات **﴿الفوز العظيم﴾** الذي لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطيبات فيكون أعلى حالاً من الفوز الكبير لأنه يكون بجلب المنافع كما في سورة البروج، والفوز العظيم في الحقيقة هو الانخلاع عن الوجود المجازي والتلبس بلباس الوجود الحقيقي وذلك موقوف على الإيمان الحقيقي الذوقي والعمل الصالح المقارن بشهود العامل فإن نور الشهود حينئذٍ يستر ظلمات وجوده الإضافي وينوره بنور

الوجود الحقيقي ويدخله جنات الوصول والوصال التي تجري من تحتها الأنهار مملوءة من ماء المعارف والحكم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾.

﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا**﴾ تصريح بما علم التزاماً والمراد بالآيات إما القرآن أو المعجزات فإن كلاً منهما آية لصدق الرسول ﴿**أولئك أصحاب النار**﴾ أي: أهلها إما بمعنى مصاحبوها لخلودهم فيها أو مالكوها تنزيلاً لهم منزلة الملاك للتهكم حال كونهم ﴿**خالدين فيها**﴾ أي: أبداً بقرينة المقابلة ﴿**وبئس المصير**﴾ أي: النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن وإنما قلنا كأن لأن الواو يمانع الحمل على البيان كما عرف في المعاني وفي الآية إشارة إلى المحجوبين عن الله المحرومين من الإيمان الحقيقي به بأن يكون ذلك بطريق الذوق والوجدان لا بطريق العلم والبرهان المكذبين آيات الله الظاهرة في خواص عباده بحسب التجليات فإنهم أصحاب نار الحجاب وجحيم الاحتجاب على الدوام والاستمرار وبئس المصير هذه النار فعلى العاقل أن يجتهد حتى يكشف الله عمى قلبه وغشاوة بصيرته فيشاهد آثار الله وآياته في الأنفس والآفاق ويتخلص من الحجاب على الإطلاق ففي نظر العارفين عبرة وحكمة وفي حركاتهم شأن ومصلحة.

«حكي» أن أبا حفص النيسابوري رحمه الله خرج مع أصحابه في الربيع للتنزه فمر بدار فيها شجرة مزهرة فوقف ينظر إليها معتبراً فخرج من الدار شيخ مجوسي فقال له: يا مقدم الأخيار هل تكون ضيفاً لمقدم الأشرار فقال: نعم فدخلوا وكان معهم من يقرأ القرآن فقرأ فلما فرغ قال لهم المجوسي: خذوا هذه الدراهم واشتروا بها طعاماً من السوق من أهل ملتكم لأنكم تتنزهون عن طعامنا ففعلوا فلما أرادوا الخروج قال المجوسي للشيخ: لا أفارقك بل أكون أحد أصحابك ثم أسلم هو وأولاده ورهطه وكانوا بضع عشرة نفساً فقال أبو حفص لأصحابه: إذا خرجتم للتنزه فاخرجوا هكذا.

چون نظر ميداشت أرباب شهود مؤمن آمد بي نفاق أهل جحود

﴿**ما**﴾ نافية ولذا زاد من المؤكدة ﴿**أصاب**﴾ الخلق يعني نرسد بهيچ كس ﴿**من مصيبة**﴾ من المصائب الدنيوية في الأبدان والأولاد والأموال ﴿**إلا بإذن الله**﴾ استثناء مفرغ منصوب المحل على الحال أي: ما أصاب مصيبة ملتبسة بشيء من الأشياء إلا بإذن الله أي: بتقديره وإرادته كأنها بذاتها متوجهة إلى الإنسان متوقفة على إذنه تعالى أن تصيبه وهذا لا يخالف قوله تعالى في سورة الشورى ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠] أي: بسبب معاصيكم ويتجاوز عن كثير منها ولا يعاقب عليها إما أولاً فلأن هذا القول في حق المجرمين فكم من مصيبة تصيب من أصابته لأمر آخر من كثرة الأجر للصبر وتكفير السيئات لتوفية الأجر إلى غير ذلك وما أصاب المؤمنين فمن هذا القبيل وإما ثانياً فلأن ما أصاب من ساء بسوء فعله فهو لم يصب إلا بإذن الله وإرادته أيضاً كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] أي: إيجاداً وإيصالاً فسبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء وكان

الكفار يقولون لو كان ما عليه المسلمون حقاً لصانهم الله عن المصائب في أموالهم وأبدانهم في الدنيا فبين الله أن ذلك إنما يصيبهم بتقديره ومشيئته وفي إصابتها حكمة لا يعرفها إلا هو منها تحصيل اليقين بأن ليس شيء من الأمر في يديهم فيبرؤون بذلك من حولهم وقوتهم إلى حول الله وقوته ومنها ما سبق آنفاً من تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضا بقضاء الله إلى غير ذلك ولو لم يصب الأنبياء والأولياء محن الدنيا وما يطرأ على الأجسام لافتتن الخلق بما ظهر على أيديهم من المعجزات والكرامات على أن طريان الآلام والأوجاع على ظواهرهم لتحقق بشريتهم لا على بواطنهم لتحقق مشاهدتهم والإنس بربهم فكأنهم معصومون محفوظون منها لكون وجودها في حكم العدم بخلاف حال الكفار والأشرار نسأل العفو والعافية من الله الغفار وفي الآية إشارة إلى إصابة مصيبة النفس الأمارة بالاستيلاء على القلب وإلى إصابة مصيبة القلب السيار بالغلبة على النفس فإنهما بإذن تجلية القهري للقلب الصافي بحسب الحكمة أو بإذن تجليه اللطفي الجمالي للنفس الجانية بحسب النقمة **﴿ومن يؤمن بالله﴾** يصدق به ويعلم أنه لا يصيبه مصيبة إلا بإذن الله والاكتفاء بالإيمان بالله لأنه الأصل **﴿يهد قلبه﴾** عند إصابتها للثبات والاسترجاع فيثبت ولا يضطرب بأن يقول قولاً ويظهر وصفاً يدل على التضجر من قضاء الله وعدم الرضا به ويسترجع ويقول إنا لله وإنا إليه راجعون ومن عرف الله واعتقد أنه رب العالمين يرضى بقضائه ويصبر على بلائه فإن التربية كما تكون بما يلائم الطبع تكون بما يتنفر عنه الطبع وقيل: يهد قلبه أي: يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيرضى بقضائه ويسلم لحكمه وقيل: يهد قلبه أي: يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة، والخير وبالفارسية الله راه نما يدل اورابه پسند كاري ومزيد طاعت.

وقال أبو بكر الوراق رحمه الله: ومن يؤمن بالله عند الشدة والبلاء فيعلم أنها من عدل الله يهد قلبه إلى حقائق الرضا وزوائد اليقين وقال أبو عثمان رحمه الله: من صحح إيمانه بالله يهد قلبه لاتباع سنن نبيه عليه السلام وعلامة صحة الإيمان المداومة على السنن وملازمة الاتباع وترك الآراء والأهواء المضلة وقال بعضهم: ومن يؤمن بالله تحقيقاً يهد قلبه إلى العمل بمقتضى إيمانه حتى يجد كمال مطلوبه الذي آمن به ويصل إلى محل نظره وقال بعضهم: ومن يؤمن بالله بحسب ذاته نور قلبه بنور المعرفة بأسمائه وصفاته إذ معرفة الذات تستلزم معرفة الصفات والأسماء من غير عكس وباعتبار سبق الهداية ولحوقها فإن الإيمان بالله إنما هو بهداية سابقة وهداية القلب إنما هي هداية لاحقة يندفع توهم أن الإيمان موقوف على الهداية فإذا كانت هي موقوفة عليه كما تفيده من الشرطية لما أن الشرط مقدم على المشروط لدار فإن للهداية مراتب تقدماً وتأخراً لا تنقطع ولذلك ندعو الله كل يوم ونقول مراراً اهدنا الصراط المستقيم بناء على أن في كل عمل نريده صراطاً مستقيماً يوصل إلى رضا الله تعالى وقيل: إنه مقلوب ومعناه من يهد قلبه يؤمن بالله.

وروي في يهد سبع قراءات المختار من السبع يهد مفرداً غائباً راجعاً ضميره إلى الله مجزوم الآخر ليكون جواب الشرط المجزوم من الهداية وقرىء نهد بالنون على الالتفات منها أيضاً ويهد مجهولاً برفع قلبه على أنه قائم مقام الفاعل منها أيضاً ويهد بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ورفع قلبه أيضاً بمعنى يهتد كقوله تعالى: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ [يونس: ٣٥]

ويهدأ من باب يسأل ويهدا بقلبها ألفاً ويهد بحذفها تخفيفاً فيهما والمعنى يطمئن ويسكن إلى الحق﴿والله بكل شيء﴾ من الأشياء التي من جملتها القلوب وأحوالها كتسليم من انقاد لأمره وكراهة من كرهه وكآفاتها وخلوصها من الآفات. ﴿عليم﴾ فيعلم إيمان المؤمن وخلوصه ويهدي قلبه إلى ما ذكر﴿وأطيعوا الله﴾ إطاعة العبد لمولاه فيما يأمره﴿وأطيعوا الرسول﴾ إطاعة الأمة لنبيها فيما يؤديه عن الله أي: لا يشغلنكم المصائب عن الاشتغال بطاعته والعمل بكتابه وعن الاشتغال بطاعة الرسول واتباع سننه وليكن جل همتكم في السراء والضراء العلم بما شرع لكم قال القاشاني: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول على حسب معرفتكم بالله وبالرسول فإن أكثر التخلف عن الكمال والوقوع في الخسران والنقصان إنما يقع من التقصير في العمل وتأخر القدم لا من عدم النظر كرر الأمر للتأكيد والإيذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله﴿فإن توليتم﴾ أي: أعرضتم عن إطاعة الرسول﴿فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ تعليل للجواب المحذوف أي: فلا بأس عليه إذ ما عليه إلا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وإظهار الرسول مضافاً إلى نون العظمة في مقام إضماره لتشريفه عليه السلام والإشعار بمدار الحلم الذي هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه وفي «التأويلات النجمية» أطيعوا الله بتهيئة الأسباب بمظهرية ذاته وصفاته وأطيعوا الرسول بتحصيل القابلية لمظهرية أحكام شريعته الظاهرة وآداب طريقته الباطنة فإن أعرضتم عن تهيئة الأسباب والاستعداد وتصفية هذين الأمرين الكليين بالإقبال على الدنيا والاستهلاك في بحر شهواتها فإنما على رسولنا البلاغ المبين وعليكم العذاب المهين.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

﴿الله لا إله﴾ في الوجود﴿إلا هو﴾ جملة من مبتدأ وخبر أي: هو المستحق للمعبودية لا غير وهو القادر على الهداية والضلالة لا شريك له في الإرشاد والإضلال وليس بيد الرسول شيء من ذلك﴿وعلى الله﴾ أي: عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ في تثبيت قلوبهم على الإيمان والصبر على المصائب وإظهار الجلالة في موضع الإضمار للإشعار بعلية التوكل والأمر به فإن الألوهية مقتضية للتبتل إليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة وفي الآية بعث لرسول الله وللمؤمنين وحث لهم على الثبات على التوكل والازدياد فيه حتى ينصرهم على المكذبين وعلى من تولى عن الطاعة وقبول أحكام الدين.

واعلم أن التوكل من المقامات العالية وهو إظهار العجز والاعتماد على الغير وفي «الحدائق» التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس مما في أيدي الناس وظاهر الأمر يفيد وجوب التوكل مع أنه غير موجود في أكثر الناس فيلزم أن يكونوا عاصين ولعل المأمور به هو التوكل العقلي وهو أن يعتقد العبد أنه ما من مراد من مراداته الدنيوية والأخروية إلا وهو يحصل من الله فيثق به في حصوله ويرجو منه وإن كانت النفس تلتفت إلى الغير وتتوقع منه نظراً إلى اعتقاد سببيته والله مسبب الأسباب وأما التوكل الطبيعي الذي لا يكون ثقة صاحبه طبعاً إلا بالله وحده ولا اعتماده إلا عليه في جميع مقاصده مع قطع النظر عن الأغيار كلها رأساً فهو عسير قلما

يوجد إلا في الكمل من الأولياء كما حكي عن بشر الحافي رحمه الله أنه جاءه جماعة من الشأم وطلبوا منه أن يحج معهم فقال: نعم ولكن بثلاثة شروط أن لا نحمل معنا شيئاً ولا نسأل أحداً شيئاً ولا نقبل من أحد شيئاً فقالوا: أما الأول والثاني فنقدر عليه أما الثالث فلا نقدر فقال: أنتم الذين تحجون متوكلين على زاد الحاج وقيل: من ادعى التوكل ثم شبع فقد حمل زاداً وعن بعضهم أنه قال: حججت أربع عشرة مرة حافياً متوكلاً وكان يدخل الشوك فلا أخرجه لئلا ينقص توكلي وعن إبراهيم الخواص رحمه الله بينما أنا أسير في البادية إذ قال لي أعرابي يا إبراهيم: التوكل عندنا فأقم عندنا حتى يصح توكلك أما تعلم أن رجاءك دخول بلد فيه أطعمة يحملك ويقويك اقطع رجاءك عن دخول البلدان فتوكل فإذا كان رجاء دخول البلدان مانعاً عن التوكل التام، فما ظنك بالإقامة في بلاد خصبة ولذا أوقع الله التوكل على الجلالة لأنها جامعة لجميع الأسماء فالتوكل عليه توكل تام والتوكل على الأسماء الجزئية توكل ناقص فمن عرف الله وكل إليه أموره وخرج هو من البين ومن جعل الله وكيله لزمه أيضاً أن يكون وكيلاً لله على نفسه في استحقاق حقوقه وفرائضه وكل ما يلزمه فيخاصم نفسه في ذلك ليلاً ونهاراً أي: لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة فإن الأوقات سريعة المرور.

خاك دردستش بودچون بادهنكام اجل   هركه أوقات كرامي صرف آب وكل كند

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إيماناً خالصاً ﴿إن من أزواجكم﴾ جمع زوج يعم الحليل والحليلة وسيجيء ما في «اللباب» ﴿وأولادكم﴾ جمع ولد يعم الابن والبنت ﴿عدواً لكم﴾ يشغلونكم عن طاعة الله وإن لم يكن لهم عداوة ظاهرة فإن العدو لا يكون عدواً بذاته وإنما يكون عدواً بفعله فإذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدواً ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة أو يخاصمونكم في أمور الدين أو الدنيا وأشد المكر ما يكون في الدين فإن ضرره أشد من ضرر ما يكون في الدنيا وجاء في الخبر «ليس عدوك الذي لقيته فقتلته وآجرك الله على قتله ولكن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وامرأتك تضاجعك على فراشك وولدك من صلبك» قدم الأزواج لأنها مصادر الأولاد ولأنها لكونها محل الشهوات ألصق بقلوب الناس وأشد إشغالاً لهم عن العبودية ولذا قدمها الله تعالى في قوله ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران: ١٤] وفي «اللباب» أن قوله ﴿إن من أزواجكم﴾ يدخل فيه الذكر فكما أن الرجل تكون زوجته وولده عدواً له كذلك المرأة يكون زوجها عدواً لها بهذا المعنى فيكون الخطاب هنا عاماً على التغليب ويحتمل أن يكون الدخول باعتبار الحكم لا باعتبار الخطاب ﴿فاحذروهم﴾ الحذر احتراز عن مخيف والضمير للعدو فإنه يطلق على الجمع قال بعضهم: احذروهم أي: احفظوا أنفسكم من محبتهم وشدة التعلق والاحتجاب بهم ولا تؤثروا حقوقهم على حقوق الله تعالى وفي الحديث: «إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسخياءكم وأمركم شورى بينكم أي: ذا تشاور لا يتفرد أحد برأي دون صاحبه فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها» وفي الحديث: «شاوروهن وخالفوهن» وقد استشار النبي عليه السلام أم سلمة رضي الله عنها كما في قصة صلح الحديبية فصار دليلاً لجواز استشارة المرأة الفاضلة ولفضل أم سلمة ووفور عقلها حتى قال إمام الحرمين: لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة كذا قال: وقد استدرك بعضهم ابنة شعيب في أمر موسى عليهما السلام.

«حكي» أن خسرو كان يحب أكل السمك فكان يوماً جالساً في المنظرة وشيرين عنده إذ جاء صياد ومعه سمكة كبيرة فوضعها بين يديه فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت شيرين: بئس ما فعلت لأنك إذا أعطيت بعد هذا أحداً من عسكرك هذا القدر احتقره وقال: أعطاني عطية الصياد فقال خسرو: لقد صدقت لكن يقبح على الملوك أن يرجعوا في عطياتهم فقالت شيرين: تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر أو أنثى فإن قال: ذكر فقل إنما أردنا أنثى وإن قال أنثى فقل: إنما أردنا ذكراً فنودي الصياد فعاد فقال له الملك: هذه السمكة ذكر أو أنثى فقال: هذه السمكة خنثى فضحك خسرو من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى فقبض ثمانية آلاف درهم ووضعها في جراب معه وحملها على كاهله وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب وانحنى على الدرهم فأخذه والملك وشيرين ينظران إليه فقالت شيرين للملك: أرأيت إلى خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فألقى عن كاهله ثمانية آلاف درهم وانحنى على ذلك الدرهم وأخذه ولم يسهل عليه أن يتركه فغضب الملك وقال: لقد صدقت يا شيرين ثم أمر بإعادة الصياد فقال: يا دنيء الهمة لست بإنسان ما هذا الحرص والتهالك على درهم واحد فقبل الصياد الأرض وقال: إني لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندي وإنما رفعته عن الأرض لأن على أحد وجهيه اسم الملك وعلى الآخر صورته فخشيت أن يأتي أحد بغير علم فيضع عليه قدمه فيكون ذلك استخفافاً بالملك وصورته فتعجب خسرو من كلامه فأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى وكتب وصية للناس بأن لا تطيعوا النساء أصلاً ولا تعملوا برأيهن قطعاً.

«وحكي» أن رجلاً من بني إسرائيل أتى سليمان عليه السلام وقال يا نبي الله: أريد أن تعلمني لسان البهائم فقال سليمان: إن كنت تحب أن تعلم لسان البهائم أنا أعلمك ولكن إذا أخبرت أحداً تموت من ساعتك فقال: لا أخبر أحداً فقال سليمان: قد علمتك وكان للرجل ثور وحمار يعمل عليهما في النهار فإذا أمسى أدخل عليهما علفاً فحط العلف بين يديهما فقال الحمار للثور: أعطني الليلة عشاءك حتى يحسب صاحبنا أنك مريض فلا يعمل عليك ثم إني أعطيك عشائي في الليلة القابلة فرفع الثور رأسه من علفه فضحك الرجل فقالت: امرأته لم تضحك قال: لا شيء فلما جاءت الليلة القابلة أعطى الرجل للحمار علفه وللثور علفه وقال الثور: اقضني السلف الذي عندك فإني أمسيت مغلوباً من الجوع والتعب فقال له الحمار: إنك لا تدري كيف كان الحال قال الثور: وما ذاك قال: إن صاحبنا البارحة ذهب وقال للجزار: ثوري مريض اذبحه قبل أن يعجف فاصبر الليلة وأسلفني أيضاً عشاءك حتى إذا جاءك الجزار صباحاً وجدك عجيفاً ولا يذبحك فتنجو من الموت لو تعشيت يمتلىء بطنك فيخشى عليك أن يحسبك سميناً فيذبحك إني أرد لك ما أسلفتني الليلتين فرفع رأسه عن علفه ولم يأكل فضحك الرجل فقالت المرأة: لم تضحك أخبرني وإلا طلقني فقال الرجل: إذا أخبرتك بما ضحكت أموت من ساعتي فقالت: لا أبالي، فقال: ائتيني بالدواة والقرطاس حتى أكتب وصيتي ثم أخبر ثم أموت، فناولته فبينما هو يكتب إذ طرحت المرأة كسرة من الخبز إلى الكلب، فسبق الديك وأخذها بمنقاره قال الكلب ظلمتني قال الديك: صاحبنا يريد الموت فتكون أنت شبعاناً من وليمة المأتم ولكن نحن نبقى في مبيتنا إلى ثلاثة أيام لا يفتح لنا الباب وإن يمت برضى امرأته أبعده الله وأسخطه فإن لي تسع نسوة لا تقدر واحدة منهن أن تسأل عن سري ولو كنت أنا

مكانه لأضربنها حتى تموت أو تتوب وبعد ذلك لا تسأل عن سر زوجها فأخذ الرجل عصاً ولم يزل يضربها حتى ثابت من ذلك.

زنى راكه جهلست وبار استي بلا برسر خود نه زن خواستتي

وأفادت من التبعيضية في قوله ﴿إن من أزواجكم﴾ الخ أن منها ما ليس بعدو كما قال عليه السلام: «الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» وقال عليه السلام: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله» فإذا كانت المرأة على هذه الأوصاف فهي ميمونة مباركة وإلا فهي مشؤومة منحوسة.

كرا خانه آباد وهمخوا به دوست خدارا برحمت نظر سوى اوست

﴿وإن تعفوا﴾ عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون متعلقة بأمور الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة ﴿وتصفحوا﴾ بترك التثريب والتعيير يقال: صفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه والتثريب عليه ﴿وتغفروا﴾ بإخفائها وتمهيد عذرها ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وهذا كقوله ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥] نزلت في عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه كان ذا أهل وولد وكان إذا أراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا: إلى من تدعنا فيرق ويقيم.

وأراد الحطيئة وهو شاعر مشهور سفراً فقال لامرأته:

عدي السنين لغيبتي وتصبري وذري الشهور فإنهن قصار

فأجابته:

واذكر صبابتنا إليك وشوقنا وارحم بناتك إنهن صغار

وقيل: إن ناساً من المؤمنين أرادوا الهجرة من مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم فزينوا لهم القعود قيل: قالوا لهم: أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا: لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على أن يعفوا عنهم ويردوا إليهم البر والصلة قال القاشاني: وإن تعفوا بالمداراة وتصفحوا عن جرائمهم بالحلم وتغفروا جناياتهم بالرحمة لا ذنب ولا حرج إنما الذنب في الاحتجاب بهم وإفراط المحبة وشدة التعلق لا في مراعاة العدالة والفضيلة ومعاشرتهم بحسن الخلق فإنه مندوب بل اتصاف بصفات الله فإن الله غفور رحيم فعليكم بالتخلق بأخلاقه وفي الحث على العفو والصفح إشارة إلى أن ليس المراد من الأمر بالحذر تركهم بالكلية والإعراض عن معاشرتهم ومصاحبتهم كيف والنساء من أعظم نعم الجنة وبها نظام العالم فإنه لولا الأزواج لما وجد الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء وقد خلق المخلوقات لأجلهم ومنَّ الله على عباده تذكير النعمة حيث قال: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم: ٢١] وهذا كما روي عنه عليه السلام أنه كان يقول «اتقوا الدنيا والنساء» فإن الأمر بالاتقاء إنما هو للتحذير عما يضر في معاشرتها لا للترك بالكلية فكما أن الدنيا لا تترك بالكلية ما دام المرء حياً وإنما يحذر من التعلق بها ومحبتها الشاغلة عن محبة الله تعالى فكذا النساء ولأمر ما حبب الله إليه عليه السلام النساء وقال عليه السلام: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» كما سبق بيانه في سورة النجم فقد حث عليه

السلام على وجود الولد الصالح ولم يعده من الدنيا بل عده من الخير الباقي في الدنيا وبه يحصل العمر الثاني وفي الآية إشارة إلى أن النفوس الأمارة أو اللوامة وأولادها وهي صفات تلك النفوس وأخلاقها الشهوانية عدو للإنسان يمنعه عن الهجرة إلى مدينة القلب فلا بد من الحذر عن متابعتها ومخالطتها بالكلية وتصرفاتها في جميع الأحوال وأن تعفوا عن هفواتهم الباطلة الواقعة منهم في بعض الأوقات لكونهم مطية لكم وتصفحوا بعد التوبيخ والتعيير وتغفروا بأن تستروا ظلمتهم بنور إيمانكم وشعاع معرفة قلوبكم فإن الله غفور ساتر لكم يستر بلطفه رحيم بكم بإضافة رحمته عليكم جعلنا الله وإياكم من أهل تقواه ومغفرته وتغمدنا بأنواع رحمته **﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾** بلاء ومحنة يوقعونكم في الإثم والعقوبة من حيث لا تحتسبون.

«وقال الكاشفي»: آز مايش است تا ظاهركرددكه كدام از ايشان حق را برايشان ايثار ميكند وكدام دل درمال وولد بسته از محبت الهي كرانه ميكيرد.

وجيء بإنما للحصر لأن جميع الأموال والأولاد فتنة لأنه لا يرجع إلى مال أو ولد إلا وهو مشتمل على فتنة واشتغال قلب وتأخير الأولاد من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى لأن الأولاد ألصق بالقلوب من الأموال لكونهم من أجزاء الآباء بخلاف الأموال فإنها من توابع الوجود وملحقاته ولذا جعل توحيد الأفعال في مقابلة الفناء عن الأولاد وتوحيد الذات في مقابلة الفناء عن النفس **﴿والله عنده أجر عظيم﴾** لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الأموال والأولاد والتدبير في مصالحهم زهدهم في الدنيا بأن ذكر عيبها ورغبهم في الآخرة بذكر نعيمها وعن ابن مسعود رضي الله عنه، لا يقولن أحدكم اللهم اعصمني من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وولد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن نظيره ما حكي عن محمد بن المنكدر رحمه الله أنه قال: قلت ليلة في الطواف اللهم اعصمني وأقسمت على الله تعالى في ذلك كثيراً فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي إنه لا يفعل ذلك قلت لم قال: لأنه يريد أن يعصي حتى يغفر وهذا من الأسرار المصونة والحكم المسكوت عنها وفي «مشكاة المصابيح» كان رسول الله ﷺ يخطب إذ جاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل عليه السلام من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله: **﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾** نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم أخذ عليه السلام في خطبته قال ابن عطية: وهذه ونحوها هي فتنة الفضلاء فأما فتنة الجهال الفسقة فمؤدية إلى كل فعل مهلك يقال: إن أول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة أهله وأولاده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ بحقنا منه فإنه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه وتأكل عياله حسناته فلا يبقى له حسنة ولذا قال عليه السلام: «يؤتى برجل يوم القيامة فيقال له: أكل عياله حسناته» وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وهو دود يقع في الطعام والثوب وغيرهما ومن ثم ترك كثير من السلف المال والأهل رأساً وأعرضوا عنهما بالكلية لأن كل شيء يشغل عن الله فهو مشؤوم على صاحبه ولذا كان عليه السلام يقول في دعائه «اللهم من أحبني وأجاب دعوتي فأقلل ماله وولده»، ومن أبغضني ولم يجب دعوتي فأكثر ماله وولده وهذا

للغالب عليهم النفس وأما قوله عليه السلام في حق أنس رضي الله عنه «اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيما أعطيته» فهو لغيره.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ أي: ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم قال بعضهم: أي: إن علمتم ذلك وانتصحتم به فاتقوا ما يكون سبباً لمؤاخذة الله إياكم من تدبير أمورهما ولا ترتكبوا ما يخالف أمره تعالى من فعل أو ترك وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] لما اشتد عليهم بأن قاموا حتى ورمت أقدامهم وتقرحت جباههم فنزلت تيسيراً لعباد الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنها آية محكمة لا ناسخ فيها لعله رضي الله عنه جمع بين الآيتين بأن يقول هنا وهنالك فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم واجتهدوا في الاتصاف به بقدر طاقتكم فإنه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها وحق التقوى ما يحسن أن يقال: ويطلق عليه اسم التقوى وذلك لا يقتضي أن يكون فوق الاستطاعة وقال ابن عطاء رحمه الله: هذا لمن رضي عن الله بالثواب فأما من لم يرض عنه إلا به فإن خطابه ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] أشار رضي الله عنه إلى الفرق بين الأبرار والمقربين في حال التقوى فقوله تعالى: **﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾** ناظر إلى الأبرار وقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ناظر إلى المقربين فإن حالهم الخروج عن الوجود المجازي بالكلية وهو حق التقوى وقال القاشاني: فاتقوا الله في هذه المخالفات والآفات في مواضع البليات ما استطعتم بحسب مقامكم ووسعكم على قدر حالكم ومرتبتكم. قال السري قدس سره: المتقي من لا يكون رزقه من كسبه.

ودر كشف الأسرار آورده كه دريك آيت اشارت ميكند بواجب مر ودر ديكري بواجب حق چون واجب أمر بيامد واجب حق را رقم نسخ بركشيد زيراكه حق بنده راك مطالبت كند بواجب أمر كند تافعل اودر دائرهء عفو داخل تواند شد واكر اورا بواجب حق بكيرد طاعت ومعصيت هزار ساله آنجا يكرنك دارد.

بـي نـيـازي بـيـن واسـتـغـنـانـكـر خواه مطرب باش وخواهي نوحه كر

اكر همه انبيا وأوليا بهم آيند آن كيست كه طاقت آن داردكه بحق أو جل جلاله قيام نمايد يا جواب حق او باز دهد أمر او متناهيست أما حق أو متناهي نيست زيراكه بقاي أمر ببقاي تكليف است وتكليف درد نياست كه سراي تكليف است أما بقاي حق ببقاي ذاتست وذات متناهي نست پس حق متناهي نيست واجب أمر برخيز داما واجب حق برتخيزد دنيا دركذرد ونوبت أمر باوي دركذرد أما نوبت حق نفركز در نكذرد امروز هركسى را سودايي درسرست كه درا مر مي نكرند انبيا ورسل بنبوت ورسالت خوتش مي نكرند فرشتكان بطاعت وعبادت خودمي نكرند مؤحدان ومجتهدان ومؤمنان ومخلصان بتوحيد وإيمان وإخلاص خويش مي نكرند فردا چون سرادقات حق ربوبيت باز كشند انبيا باكمال حال خويش حديث علم خود طي كنند كويند لا علم لنا ملائكهء ملكوت صومعهاي عبادت خود آتش درزنندكه ما عبدناك حق عبادتك عارفان وموحدان كويند ما عرفناك حق معرفتك **﴿واسمعوا﴾** مواعظه **﴿وأطيعوا﴾** أوامره **﴿وأنفقوا﴾** مما رزقكم في الوجوه التي أمركم بالإنفاق فيها خالصاً لوجهه عن ابن عباس

رضي الله عنهما أن المراد إنفاق الزكاة والظاهر العموم وهو مندرج في الإطاعة ولعل إفراده بالذكر لما أن الاحتياج إليه كان أشد حينئذٍ وأن المال شقيق الروح ومحبوب النفس ومن ذلك قدم الأموال على الأولاد في المواضع حتى قال الإمام الغزالي رحمه الله: إنه قد يكون حب المال من أسباب سوء العاقبة فإنه إذا كان حب المال غالباً على حب الله فحين علم محب المال أن الله يفرقه عن محبوب عقد في قلبه البغض لله نعوذ بالله من ذلك وهذا كما ترى أن أحداً إذا أحب دنياه حباً غالباً على حب ابنه فلو قصد الابن أن يأخذها منه لأبغض الابن وأحب هلاكه ﴿خيراً لأنفسكم﴾ خبر لكان المقدر جواباً للأوامر أي: يكن خيراً لأنفسكم أو مفعول لفعل محذوف أي: ائتوا وافعلوا خيراً لأنفسكم واقصدوا ما هو أنفع لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وبيان لكون الأمور المذكورة خيراً لأنفسهم من الأموال والأولاد وما هم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ أي: ومن يقه الله ويعصمه من بخل نفسه الذي هي الرذيلة المعجونة في طينة النفس وقد سبق بيانه في سورة الحشر وبالفارسية وهركه نكاه داشت ازبخل نفس خود يعني حق خدا يرا إمساك نكند ودر راه وي بذل مي نمايد.

وهو مجهول مجزوم الآخر بمن الشرطية من الوقاية المتعدية إلى المفعولين وشح مفعول ثان له باق على النصب والأول ضمير من القائم مقام الفاعل ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مرام وفي الحديث «كفى بالمرء من الشح أن يقول آخذ حقي لا أترك منه شيئاً» وفي حديث الأصمعي أتى أعرابي قوماً فقال لهم: هذا في الحق أو فيما هو خير منه قالوا: وما خير من الحق قال: التفضل والتغافل أفضل من أخذ الحق كله كذا في «المقاصد الحسنة».

روي: عن النبي عليه السلام أنه كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي قال عليه السلام: «وما ذنبك صفه لي قال: هو أعظم من أن أصفه لك قال: ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون قال: بل ذنبي يا رسول الله، قال: ويحك ذنبك أعظم أم الجبال، قال: بل ذنبي يا رسول الله، قال: فذنبك أعظم أم السماوات، قال: بل ذنبي، قال: فذنبك أعظم أم العرش، قال: بل ذنبي أعظم، قال: فذنبك أعظم أم الله، قال: بل الله أعظم وأعلى، قال: ويحك صف لي ذنبك، قال: يا رسول الله إني ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من النار، فقال عليه السلام: عني يعني دورشو ازمن».

لا تحرقني بنارك فو الذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم بكيت ألفي عام حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لكبك الله في النار أما علمت أن البخل كفر وأن الكفار في النار ويحك أما علمت أن الله يقول ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد: ٣٨] ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

فرومانند كاترا درون شادكن   زروز فرو مادنكي يادكن
نه خواهندهٔ بر در ديكران   بشكرانه خواهند ازدر مران

وفي الآية إشارة إلى أن الإنفاق على الغير علماً أو مالاً إنفاق على نفسك بالحقيقة والناس كنفس واحدة لانتفاء الغيرية في الأحدية وإن من وفق لإنفاق الوجود المجازي في الله فاز بالموجود الحقيقي من الله تعالى.

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

﴿**إن تقرضوا الله**﴾ بصرف أموالكم إلى المصارف التي عينها وبالفارسية اكر فرض دهيد خدا يرا يعني صرف كنيد در آنچه فرمايد.

وذكر القرض تلطف في الاستدعاء كما في «الكشاف»، قال في «اللباب»: القرض القطع ومنه المقراض لما يقطع به وانقرض القوم إذا هلكوا وانقطع أثرهم وقيل للقرض قرض لأنه قطع شيء من المال هذا أصل الاشتقاق ثم اختلفوا فيه فقيل: اسم لكل ما يلتمس الجزاء عليه وقيل: أن يعطي أحداً شيئاً ليرجع إليه ثم قيل: لفظ القرض هنا حقيقة على المعنيين وقيل: مجاز على الثاني لأن الراجع ليس مثله بل بدله وإليه يميل ما في «الكشاف» في سورة البقرة إقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب ثوابه لعله الوجه فيكون بقرض استعارة تصريحية تبعية وقوله: ﴿**قرضاً حسناً**﴾ تصريحية أصلية أي: مقروناً بالإخلاص وطيب النفس قال سهل رضي الله عنه: القرض الحسن المشاهدة بقلوبكم لله في أعمالكم كما قال: أن تعبد الله كأنك تراه وقرضاً إن كان بمعنى إقراضاً كان نصبه على المصدرية وإن كان بمعنى مقرضاً من النفقة كان مفعولاً ثانياً لتقرضوا لأن الإقراض يتعدى إلى مفعولين ففي التعبير عن الإنفاق بالإقراض وجعله متعلقاً بالله الغني مطلقاً والتعبير عن النفقة بالقرض إشارة إلى حسن قبول الله ورضاه وإلى عدم الضياع وبشارة باستحقاق المنفق ببركة إنفاقه لتمام الاستحقاق ﴿**يضاعفه لكم**﴾ من المضاعفة بمعنى التضعيف أي: التكثير فليس المفاعلة هنا للاشتراك أي: يجعل لكم أجره مضاعفاً ويكتب بالواحد عشرة وسبعين وسبعمائة وأكثر بمقتضى مشيئته على حسب النيات والأوقات والمحال ﴿**ويغفر لكم**﴾ ببركة الإنفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب ﴿**والله شكور**﴾ يعطي الكثير بمقابلة اليسير من الطاعة أو يجازي العبد على الشكر وهو الاعتراف بالنعمة على سبيل الخضوع فسمي جزاء الشكر شكراً أو الله شكور بمعنى أنه كثير الثناء على عبده بذكر أفعاله الحسنة وطاعته فالشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه وهذا المعنى مختار الإمام القشيري رحمه الله والشكور مبالغة الشاكر والشاكر من له الشكر سئل بعضهم من أشكر الشاكرين فقال: الطاهر من الذنوب يعد نفسه من المذنبين والمجتهد في النوافل بعد أداء الفرائض يعد نفسه من المقصرين والراضي بالقليل من الدنيا يعد نفسه من الراغبين والقاطع بذكر الله دهره يعد نفسه من الغافلين والراغب في العمل يعد نفسه من المفلسين فهذا أشكر الشاكرين ومن أدب من عرف أنه تعالى شكور أن يجد في شكره ولا يفتر ويواظب على حمده ولا يقصر والشكر على أقسام شكر بالبدل وهو أن لا تستعمل جوارحك في غير طاعته وشكر بالقلب وهو أن لا تشغل قلبك بغير ذكره ومعرفته وشكر باللسان وهو أن لا تستعمله في غير ثنائه ومدحته وشكر بالمال وهو أن لا تنفقه في غير رضاه ومحبته.

نفس مي نيارم زد از شكر دوست ... كه شكري نه دانم كه درخورد اوست
عطاييست هر موي از وبر تنم ... چكونه بهر موي شكري كنم

وأحسن وجوه الشكر لنعم الله أن لا تستعملها في معاصيه بل في طاعته وخاصية اسم الشكور التوسعة ووجود العافية في البدن وغيره بحيث لو كتبه من به ضيق في النفس وتعب في

البدن وإعياء أشد الإعياء وثقل في الجسم وتمسح به وشرب منه بريء بإذن الله تعالى وإن تمسح به ضعيف البصر على عينيه وجد بركة ذلك ويكتب إحدى وأربعين مرة ﴿**حليم**﴾ لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم بالبخل والإمساك ونحوهما فيحلم حتى يظن الجاهل أنه ليس يعلم ويستر حتى يتوهم الغافل أنه ليس يبصر، قال الإمام الغزالي رحمه الله: الحليم هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظه ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١].

«حكي» أن إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السماوات والأرض رأى عاصياً في معصيته فقال: اللهم أهلكه فأهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثم رأى رابعاً فدعا عليه فأوحى الله إليه أن قف يا إبراهيم فلو أهلكنا كل عاص رأيناه لم يبق أحد من الخلق ولكنا بحلمنا لا نعذبهم بل نمهلهم فإما أن يتوبوا وإما أن يصروا فلا يفوتنا شيء قيل: الحلم حجاب الآفات وقيل: الحلم ملح الأخلاق.

وشتم الشعبي رجل فقال: إن كنت كاذباً غفر الله لك وإن كنت صادقاً غفر الله لي وكان الأحنف يضرب به المثل في الحلم وهو يقول إني صبور ولست بحليم والفرق بين الحليم والصبور أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم يعني: أن الصبور يشعر بأنه يعاقب في الآخرة بخلاف الحليم كما في «المفاتيح» والتخلق بالاسم الحليم إنما هو بأن يصفح عن جنايات الناس ويسامح لهم فيما يعاملونه به من السيئات بل يجازيهم بالإحسان تحقيقاً للحلم والغفران وفي «الأربعين الإدريسية» يا حليم ذا الأناة فلا يعادله شيء من خلقه قال السهروردي رحمه الله: من ذكره كان مقبول القول وافر الحرمة قوي الجأش بحيث لا يقدر عليه سبع ولا غيره والأناة على وزن القناة هو التثبت والوقار ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ خبر بعد خبر أي: لا يخفى عليه خافية.

«وقال الكاشفي»: ميداند آنچه ظاهر ميكنند از تصدق وانچه پنهان ميدارند دردلها ازريا واخلاص.

وقد سبق الكلام عليه في أواخر سورة الحشر ولعل تقديم الغيب لأن عالم الغيب أعم والعلم به أتم ﴿**العزيز الحكيم**﴾ البالغ في القدرة والحكمة.

«وقال الكاشفي»: غالبست انتقام تواند كشيد از كسى كه صدقهء أو خالص نبود حكم كننده بكرامت آنهاراكه ازروى صدق تصدق نمايند.

والحكم سابق فالعبرة به لا بالصورة ولذا رد بلعم بن باعور وقبل كلب أصحاب الكهف قال أبو علي الدقاق قدس سره: لما صرفوا ذلك الكلب ولم ينصرف أنطقه الله تعالى فقال: لِمَ تصرفونني إن كان لكم إرادة فلي أيضاً إرادة وإن كان خلقكم فقد خلقني أيضاً فازدادوا بكلامه يقيناً ولما سمعوا كلامه اتفقوا على استصحابه معهم إلا أنهم قالوا يستدل علينا بآثار قدمه فالحيلة أن نحمله بالحيلة فحمله الأولياء على أعناقهم وهم يمشون لما أدركه من العناية الأزلية وكذا لم يكن في الملائكة أكبر قدراً ولا أجل خطراً من إبليس إلا أن الحكم الأزلي بشقاوته كان خفياً عن العباد فلما ظهر فيه الحكم الأزلي لعنه من عرفه ومن لم يعرفه.

كليد قدر نيست دردست كس ... تواناي مطلق خدايست وبس

ززنبور كرد اين حلاوت بديد همانكس كه در مار زهر آفريد
خدايا بغفلت شكستيم عهد چه زور آورد باقضا دست جهد
چه بر خيزد از دست تدبيرما همين نكته بس عذر تقصير ما
همه هرچه كردم توبرهم زدي چه قوت كندبا خداي خودي
نه من سرز حكمت بدرمي روم كه حكمت چنين مي رود بر سرم

وقال الحافظ الشيرازي رحمه الله:

نقش مستوري ومستي نه بدست من وتست آنچه سلطان ازل كفت بكن آن كردم

(وقال أيضاً):

درين چمن نكنم سرزنش بخود رويى چنانكه پرورشم ميد هندمي رويم

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا في شبابيك رأسه مكتوب خمس آيات من سورة التغابن» يعني نيست هيج مولودي كه مولودمي شود مكركه در مشبكهاهي شرش مكتوبست پنج آيت از سورهٔ تغابن.

والشبابيك جمع شباك بالضم كزنار مثل خفافيش وخفاش أو جمع شباكة بمعنى المشبك وهو ما تداخل بعضه في بعض وفي الحديث «من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة» وهي بالمدمع ضم الفاء وبالقصر مع فتح الفاء البغتة دون تقدم مرض ولا سبب.

تمت سورة التغابن بالتيسير من الله والتعاون في تاسع شهر ربيع الآخر من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

٦٥ ـ سورة الطلاق

اثنتا عشرة آية مدنية وتسمى سورة النساء القصرى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرٗا ۝١﴾.

﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ التطليق طلاق دادن يعني: عقدة نكاح راحل كردن وكشادن. قال في «المفردات»: أصل الطلاق التخلية من وثاق ويقال: أطلقت البعير من عقاله وطلقته وهو طالق وطلق بلا قيد ومنه استعير طلقت المرأة إذا خليتها فهي طالق أي مخلاة عن حبالة النكاح انتهى. والطلاق اسم بمعنى التطليق كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم وفي ذلك قالوا: المستعمل في المرأة لفظ التطليق وفي غيرها لفظ الإطلاق حتى لو قال: أطلقتك لم يقع الطلاق ما لم ينو ولو قال طلقتك وقع نوى أو لم ينو والمعنى إذا أردتم تطليق النساء المدخول بهن المعتدات بالأقراء وعزمتم عليه بقرينة فطلقوهن فإن الشيء لا يترتب على نفسه ولا يؤمر أحد بتحصيل الحاصل ففيه تنزيل المشارف للشيء منزلة الشارع فيه والأظهر أنه من ذكر السبب وإرادة المسبب وتخصيص النداء به عليه السلام مع عموم الخطاب لأمته أيضاً لتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عليه السلام إياهم وتغليبه عليهم ففيه تغليب المخاطب على الغائب والمعنى إذا طلقت أنت وأمتك وفي «الكشاف» خص النبي بالنداء وعم بالخطاب لأن النبي إمام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت إظهاراً لتقدمه واعتباراً لترؤسه وأنه لسان قومه فكأنه هو وحده في حكم كلهم لصدورهم عن رأيه كما قال البقلي: إذا خاطب السيد بأن شرفه على الجمهور إذ جمع الجميع في اسمه ففيه إشارة إلى سر الاتحاد وفي «كشف السرار» فيه أربعة أقوال أحدها أنه خطاب للرسول وذكر بلفظ الجمع تعظيماً له كما يخاطب الملوك بلفظ الجمع والثاني: أنه خطاب له والمراد أمته والثالث: أن التقدير يا أيها النبي والمؤمنون إذا طلقتم فحذف لأن الحكم يدل عليه والرابع: معناه يا أيها النبي قل للمؤمنين إذا طلقتم انتهى.

يقول الفقير: هذا الأخير أنسب بالمقام فيكون مثل قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨] ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣٠] ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النور: ٣١] ولأن النبي عليه السلام وإن كان أصيلاً في المأمورات كما أن أمته أصيل في المنهيات إلا أن الطلاق لما كان أبغض المباحات إلى الله تعالى كما سيجيء كان الأولى أن يسند التطليق إلى أمته دونه عليه السلام مع

أنه عليه السلام قد صدر منه التطليق فإنه طلق حفصة بنت عمر رضي الله عنهما واحدة فلما نزلت الآية راجعها وكانت علامة كثيرة الحديث قريباً منزلتها من منزلة عائشة رضي الله عنها فقيل له عليه السلام «راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها من نسائك في الجنة» حكاه الطبري وفي الحديث بيان فضل العلم وحفظ الحديث ومحبة الله الصيام والقيام وكرامة أهلهما عنده تعالى.

وآورده اندكه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما زن خودرا درحال حيض طلاق داد حضرت رسالت فرمود تارجوع كندو آنكاه كه از حيض پاك شود اكرخواهد طلاق دهدو درين باب آيت آمد.

والقول الأول: هو الأمثل والأصح فيه أنه بيان لشرع مبتدأ كما في «حواشي سعدي المفتي» ﴿**فطلقوهن لعدتهن**﴾ العدة مصدر عده يعده وسئل رسول الله عليه السلام، متى تكون القيامة، قال: «إذا تكاملت العدتان أي عدة أهل الجنة وعدة أهل النار» أي: عددهم وسمي الزمان الذي تتربص فيه المرأة عقيب الطلاق أو الموت عدة لأنها تعد الأيام المضروبة عليها وتنتظر أوان الفرج الموعود لها كما في «الاختيار»، المعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن متوجهات إليها وهي الحيض عند الحنفية فاللام متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام والمرأة إذا طلقت في طهر يعقب القرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة وأبعده من الندم لأنه ربما ندم في إرسال الثلاث دفعة فالطلاق السني: هو أن يكون في طهر لم يجامعها فيه وأن يفرق الثلاث في الأطهار الثلاثة وأن يطلقها حاملاً فإنها إذا على طهر ممتد فتطليقها حلال وعلى وجه السنة والبدعي على وجوه أيضاً منها: أن يكون في طهر جامع فيه لما فيه من تطويل العدة أيضاً على قول من يجعل العدة بالأطهار وهو الشافعي حيث أن بقية الطهر لا تحتسب من العدة ومنها: ما كان في الحيض أو النفاس لما فيه من تطويل العدة أيضاً على قول من يجعل العدة بالحيض وهو أبو حنيفة رحمه الله لأن بقية الحيض لا تحتسب إلا أن تكون غير مدخول بها فإنه لا بدعة في طلاقها في حال الحيض إذ ليس عليها عدة أو تكون مما لا يلزمها العدة بالأقراء فإن طلاقها لا يتقيد بزمان دون زمان ومنها: ما كان بجمع الثلاث أي: أن يطلقها ثلاثاً دفعة أو في طهر واحد متفرقة ويقع الطلاق المخالف للسنة في قول عامة الفقهاء وهو مسيء بل آثم ولذا كان عمر رضي الله عنه لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثاً إلا أوجعه ضرباً وطلق رجل امرأته ثلاثاً بين يديه عليه السلام فقال: «أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم» أي مقيم بينكم وفيه إشارة إلى أن ترك الأدب في حضور الأكابر أفحش ينبغي أن يصفع صاحبه أشد الصفع وقال الشافعي: اللام في لعدتهن متعلقة بطلقوهن لأنها للتوقيت بمعنى عند أو في فيكون المعنى في الوقت الذي يصلح لعدتهن وهو الطهر قال أبو حنيفة رحمه الله: الطلاق في الحيض ممنوع بالإجماع فلا يمكن جعلها للتوقيت فإن قلت قوله ﴿**إذا طلقتم النساء**﴾ عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الأقراء واليائسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الأقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثمة ولا خصوص ولكن الأنساء اسم جنس للإناث من الإنس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل ﴿**فطلقوهن لعدتهن**﴾ علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض فإن قلت الطلاق موقوف على النكاح سابقاً أو لاحقاً والنكاح

موقوف على الرضى من المنكوحة أو من وليها فيلزم أن يكون الطلاق موقوفاً على الرضى بالنكاح وهو واقع غير باطل لا موقوفاً على الرضى نفسه الذي هو الباطل الغير الواقع فتكفر.

واعلم أن النكاح والطلاق أمران شرعيان من الأمور الشرعية العادية لهما حسن موقع وقبح موقع بحسب الأحوال والأوقات وقد طلق عليه السلام حفصة رضي الله عنها تطليقة واحدة رجعية كما سبق وكذا تزوج سودة بنت زمعة بمكة بعد موت خديجة رضي الله عنها وقبل العقد على عائشة رضي الله عنها ثم طلقها بالمدينة حين دخل عليها وهي تبكي على من قتل من أقاربها يوم بدر فاستشفعت إلى النبي عليه السلام ووهبت يومها لعائشة فراجعها فإن قلت: كيف فعل رسول الله ذلك وقد قال: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» وقال عليه السلام: «يا معاذ ما خلق الله شيئاً على وجه الأرض أحب إليه من العتاق ولا خلق الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق» وذلك لأن النكاح يؤدي إلى الوصال والطلاق يؤدي إلى الفراق والله يحب الوصال ويبغض الفراق لا شمس ليوم الفراق ولا نهار لليلة القطيعة.

رابعة عدوية كفته كه كفر طعم فراق دارد وإيمان لذت وصال.

وقس عليه الإنكار والإقرار.

وآن طعم واين لذت فرداي قيامت بديد آيدكه دران صحراي هيبت وعرصة سياست قومي راكويند فراق لا وصال وقومي راكويند وصال لا نهاية له.

سوختكان فراق همي كويند ... فراق أوززماني هزار روز آرد
بلاي اوزشبي هم هزار سال كند ... افرو ختكان وصال همي كويند
سرا پردة وصلت كشيد روزنواخت ... بطبل رحلت برزد فراق يار دوال

وفي الحديث «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش» وعنه عليه السلام «لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات» وعنه عليه السلام «أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» قلت: يحتمل أن يكون في ذلك حكمة لا نطلع عليها بعد أن علمنا أنه عليه السلام نبي حق لا يصدر منه ما هو خلاف الحق وقد دل الحديث الآخر أن النهي إنما يكون عما لا وجه فيه وأن يكون لإظهار جواز الطلاق والرجعة منه كما وجهوا بذلك ما وقع من غلبة النوم عليه وعلى أصحابه ليلة التعريس إلى أن طلعت الشمس وارتفعت بمقدار فإن بذلك علم شرعية القضاء وأن يصلي بالجماعة وأن يصدر منه عليه السلام الأحاديث المذكورة بعد ما وقع قضية حفصة وسودة رضي الله عنهما وأن يكون من قبيل ترك الأولى وقد جوزوا ذلك للأنبياء عليهم السلام فإن قلت لعل ما فعله أولى من وجه وإن كان ما أمر الله به أولى من وجه آخر قلت لا شك أن ما أمر الله به كان أرجح وترك الأرجح ترك الأولى هذا ولعل أرجحية المراجعة في وقت لا تقتضي أرجحية ترك الطلاق على فعله في وقت آخر لأن في كل وقت احتمال أرجحية أمر والله أعلم.

يقول الفقير أمده الله القدير: إن النبي عليه السلام كان قد حبب إليه النساء لما يحب في النكاح من ذوق القربة والوصلة فالنكاح إشارة إلى مقام الجمع الذي هو مقام الولاية كما دل عليه قوله عليه السلام: «أرحني يا بلال» والطلاق إشارة إلى مقام الفرق الذي هو مقام النبوة كما دل قوله عليه السلام: «كلميني يا حميراء» فالأول وصل الفصل والثاني فصل الوصل وإن كان عليه السلام قد جمع بين الفصل والوصل، والفرق والجمع في مقام واحد وهو جمع

الجمع كما دل عليه قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الانشراح: ١] ﴿**وأحصوا العدة**﴾ الإحصاء دانستن وشمردن بر سبيل استقصاء.

أي: وأضبطوها بحفظ الوقت الذي وقع فيه الطلاق وأكملوها ثلاثة أقراء كوامل لا نقصان فيهن أي: ثلاث حيض كما عند الحنفية لأن الغرض من العدة استبراء الرحم وكماله بالحيض الثلاث لا بالأطهار كما يغسل الشيء ثلاث مرات لكمال الطهارة والمخاطب بالإحصاء هم الأزواج لا الزوجات ولا المسلمون وإلا يلزم تفكيك الضمائر ولكن الزوجات داخلة فيه بالإلحاق وقال أبو الليث: أمر الرجال بحفظ العدة لأن في النساء غفلة فربما لا تحفظ عدتها وإليه مال الكاشفي، حيث قال: وشمار كنيد اي مردان عدت زنانراكه ايشان ازضبط عاجزند يا ازاحصاي آن غافل.

فالزوج يحصي ليتمكن من تفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثاً، فإن إرسال الثلاث في طهر واحد مكروه عند أبي حنيفة وأصحابه وإن كان لا بأس به عند الشافعي وأتباعه حيث قال: لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح وليعلم بقاء زمان الرجعة، ليراجع إن حدثت له الرغبة فيها وليعلم زمان وجوب الإنفاق عليه وانقضائه وليعلم أنها هل تستحق عليه يسكنها في البيت أو له أن يخرجها وليتمكن من إلحاق نسب ولدها به وقطعه عنه قالوا وعلى الرجال في بعض المواضع العدة: منها أنه إذا كان للرجل أربع نسوة فطلق إحداهن لا يحل له أن يتزوج بامرأة أخرى ما لم تنقض عدتها ومنها أنه إذا كان له امرأة ولها أخت فطلق امرأته لا يحل له أن يتزوج أختها ما دامت في العدة، ومنها أنه إذا اشترى جارية لا يحل له أن يقربها ما لم يستبرئها بحيضة، ومنها أنه إن تزوج حربية لا يحل له أن يقربها ما لم يستبرئها بحيضة، ومنها أنه إذا بلغ المرأة وفاة زوجها فاعتدت وتزوجت وولدت ثم جاء زوجها الأول فهي امرأته لأنها كانت منكوحته ولم يعترض شيء من أسباب الرقة فبقيت على النكاح السابق ولكن لا يقربها حتى تنقضي عدتها من النكاح الثاني ووجوب العدة لا يتوقف على صحة النكاح إذا وقع الدخول بل تجب العدة في صورة النكاح الفاسد أيضاً على تقدير الدخول، ومنها: أنه إذا تزوج حربية مهاجرة إلى دارنا بأمان وتركت زوجها في دار الحرب فلا تحل له ما لم يستبرئها بحيضة عند الإمامين وقال أبو حنيفة: لا يجب عليه العدة، ومنها أنه إذا تزوج امرأة حاملاً لا يحل له أن يطأها حتى تضع الحمل، ومنها أنه إذا تزوج بامرأة وهي حائض لا يحل له أن يقربها حتى تتطهر من حيضها ومنها أنه إذا تزوج بامرأة نفساء لا يحل له أن يقربها حتى تتطهر من نفاسها ومنها أنه إذا زنى بمرأة ثم تزوجها لا يحل له أن يقربها ما لم يستبرئها بحيضة ﴿**واتقوا الله ربكم**﴾ في تطويل العدة عليهم والإضرار بهن بإيقاع طلاق ثان بعد الرجعة فالأمر بالتقوى متعلق بما قبله وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للأمر ومبالغة في إيجاب الاتقاء والتقوى في الأصل اتخاذ الوقاية وهي ما يقي الإنسان مما يكرهه ويؤمل أن يحفظه ويحول بينه وبين ذلك المكروه كالترس ونحوه ثم استعير في الشرع لاتخاذ ما يقي العبد بوعد الله ولطفه من قهره ويكون سبباً لنجاته من المضار الدائمة وحياته بالمنافع القائمة وللتقوى فضائل كثيرة ومن اتقى الله حق تقواه في جميع المراتب كوشف بحقائق البيان فلا يقع له في الأشياء شك ولا ريب ﴿**لا تخرجوهن**﴾بيرون مكنيد زنان مطلقه ﴿**من بيوتهن**﴾من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة أي: لا تخرجوهن من مساكنكم عند الفراق إلى أن تنقضي عدتهن وإنما أضيفت

إليهن مع أنها لأزواجهن لتأكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها أملاكهن وفي ذكر البيوت دون الدار إشارة إلى أن اللازم على الزوج في سكناهن ما تحصل المعيشة فيه لأن الدار ما يشتمل البيوت ﴿**ولا يخرجن**﴾ ولو بإذن منكم فإن الإذن بالخروج في حكم الإخراج ولا أثر عندنا لاتفاقهما على الانتقال لأن وجوب ملازمة مسكن الفراق حق الشرع ولا يسقط بإسقاط العبد كما قال في «الكشاف» فإن قلت: ما معنى الإخراج وخروجهن قلت: معنى الإخراج أي: لا يخرجهن البعولة غضباً عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم إلى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في الخروج إذا طلبن ذلك إيذاناً بأن إذنهم لاأثر له في دفع الحظر ولا يخرجن بأنفسهن إن أردن ذلك انتهى. فإن خرجت المعتدة لغير ضرورة أو حاجة أثمت فإن وقعت ضرورة بأن خافت هدماً أو حرقاً لها أن تخرج إلى منزل آخر وكذلك إن كانت لها حاجة من بيع غزل أو شراء قطن فيجوز لها الخروج نهاراً لا ليلاً كما في «كشف الأسرار» ﴿**إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**﴾ أي: الزنا فيخرجن لإقامة الحد عليهن ثم يعدن وبالفارسية مكر بيارند كردار ناخوش كه روشن كننده حال زنان بود دربد كرداري.

وقال بعضهم: مبينة هنا بالكسر لازم بمعنى بين متبينة كمبين من الإبانة بمعنى بين والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال وهو الزنا في هذا المقام وقيل: البذآء بالمد وهو القول القبيح وإطالة اللسان فإنه في حكم النشور في إسقاط حقهن فالمعنى إلا أن يبذون على الأزواج وأقاربهم كالأب والأخ فيحل حينئذٍ إخراجهن وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو كل معصية وهو استثناء من الأول أي: لا تخرجوهن في حال من الأحوال إلا حال كونهن آتيات بفاحشة أو من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان أن خروجها فاحشة أي: لا يخرجن إلا إذا ارتكبن الفاحشة بالخروج يعني: أن من خرجت أتت بفاحشة كما يقال لا تكذب إلا أن تكون فاسقاً يعني: أن تكذب تكن فاسقاً ﴿**وتلك**﴾ الأحكام ﴿**حدود الله**﴾ التي عينها عباده والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر ﴿**ومن يتعد**﴾ أصله يتعدى فحذفت اللام بمن الشرطية وهو من التعدي المتعدي بمعنى التجاوز أي ومن يتجاوز ﴿**حدود الله**﴾ حدوده المذكورةُ بأن أخل بشيء منها على أن الإظهار في حين الإضمار لتهويل أمر التعدي والإشعار بعلية الحكم في قوله تعالى: ﴿**فقد ظلم نفسه**﴾ أي أضرَّ بها قال البقلي قدس سره: إن الله حد الحدود بأوامره ونواهيه لنجاة سلاكها فإذا تجاوزوا عن حدوده يسقطون عن طريق الحق ويضلون في ظلمات البعد وهذا أعظم الظلم على النفوس إذ منعوها من وصولها إلى الدرجات والقربى قال بعضهم: التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالآمر فلا بد من الخوف أو الرجاء أو الحياة أو العصمة في علم الله فهي أسباب أربعة لا خامس لها حافظة من الوقوع فيما لا ينبغي فمن ليس له واحد من هذه الأسباب وقد وقع في المعصية وظلم النفس فالكامل يعطي نفسه حقها ظاهراً وباطناً ولا يظلمها.

«حكي» أن معروف الكرخي قدس سره رأى جارية من الحور العين قال: لمن أنت يا جارية، فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، وكان قد برد له كوز ماء، ليشربه فتناولت الحوراء الكوز، فضربت به الأرض فكسرته، قال السري السقطي رحمه الله: ولقد رأيت قطعه في الأرض لم ترفع حتى عفا عليها التراب، فكانت الحوراء لمعروف حين امتنع من شرب الماء المبرد وكانت جزاء له في إعطائه نفسه حقها فإن في جسده من يطلب ضد

الجارية ونحوها فلا بد من إعطاء كل ذي حق حقه ﴿**لا تدري**﴾ تعليل لمضمون الشرطية أي: فإنك أيها المتعدي لا تدري عاقبة الأمر وقال بعضهم: لا تدري نفس ﴿**لعل الله**﴾ شايد خداي تعالى ﴿**يحدث**﴾ يوجد في قلبك فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء والحدوث كون الشيء بعد أن لم يكن عرضاً كان ذلك أو جوهر أو إحداثه إيجاده ﴿**بعد ذلك**﴾ الذي فعلت من التعدي ﴿**أمراً**﴾ يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالإعراض عنها إقبالاً إليها ولا يتسنى تلافيه برجعة أو استئناف نكاح فالأمر الذي يحدثه الله تعالى أن يقلب قلبه عما فعله بالتعدي إلى خلافه فالظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسب تعديه ولا يمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والأخروي ويخص التعليل بالدنيوي ليكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى وفي الآية دلالة على كراهة التطليق ثلاثاً بمرة واحدة لأن إحداث الرجعة لا يكون بعد الثلاث ففي الثلاث عون للشيطان وفي تركها رغم له فإن الطلاق من أهم مقاصده كما روى مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه آي جنوده وأعوانه من الشياطين فيفتنون الناس فأعظمهم عنده الأعظم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول نعم أنت أي نعم المضل أو الشرير أنت فيكون نعم بكسر النون فعل مدح حذف المخصوص به أو نعم أنت ذاك الذي يستحق الإكرام فيكون بفتح النون حرف إيجاب.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢﴾

﴿**فإذا بلغن**﴾ پس چون برسدزنان ﴿**أجلهن**﴾ أي: شارفن آخر عدتهن وهي مضي ثلاث حيض ولو لم تغتسل من الحيضة الثالثة وذلك لأنه لا يمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدة فحمل البلوغ على المشارفة كما قال في «المفردات»: البلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى القصد والمبتغى مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدرة، وربما يعبر به عن المشارفة عليه وإن لم ينته إليه مثل ﴿**فإذا بلغن**﴾ إلخ فإنه للمشارفة فإنها إذا انتهت إلى أقصى الأجل لا يصح للزوج مراجعتها وإمساكها والأجل المدة المضروبة للشيء ﴿**فأمسكوهن**﴾ أي: فأنتم بالخيار فإن شئتم فراجعوهن والرجعة عند أبي حنيفة تحصل بالقول وكذا بالوطء واللمس والنظر إلى الفرج بشهودة فيهما ﴿**بمعروف**﴾ بحسن معاشرة واتفاق لائق وفي الحديث «أكمل المؤمنين أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله» ﴿**أو فارقوهن**﴾ ياجدا شويد از ايشان وبكذاريد ﴿**بمعروف**﴾ بإيفاء الحق واتقاء الضرار بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلاً للعدة ﴿**وأشهدوا**﴾ كواه كيريد.

أي: عند الرجعة والفرقة قطعاً للتنازع إذ قد تنكر المرأة بعد انقضاء العدة رجعته فيها وربما يموت أحدهما بعد الفرقة فيدعي الباقي منهما ثبوت الزوجية لأخذ الميراث وهذا أمر ندب لا وجوب ﴿**ذوي عدل**﴾ تثنية ذا منصوب ذو بمعنى الصاحب أي أشهدوا اثنين ﴿**منكم**﴾ أي من المسلمين كما قال الحسن: أو من أحراركم، كما قاله قتادة يكونون عادلين لا ظالمين ولا فاسقين، والعدالة هي الاجتناب عن الكبائر كلها، وعدم الإصرار على الصغائر، وغلبة الحسنات على السيئات، والإلمام من غير إصرار لا يقدح في العدالة إذ لا يوجد من البشر،

من هو معصوم سوى الأنبياء عليهم السلام كذا في الفروع. ﴿**وأقيموا الشهادة**﴾ أيها الشهود عند الحاجة خالصة ﴿**لله**﴾ تعالى وذلك أن يقيموها للمشهود له وعليه لا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الظلم فلو شهد لغرض لا لله برىء بها من وبال كتم الشهادة لكن لا يثاب عليها لأن الأعمال بالنيات والحاصل أن الشهادة أمانة فلا بد من تأدية الأمانة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] فلو كتمها فقد خان والخيانة من الكبائر دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] ﴿**ذلكم**﴾ إشارة إلى الحث على الشهادة والإقامة أو على جميع ما في الآية من إيقاع الطلاق على وجه السنة وإحصاء العدة والكف عن الإخراج والخروج والإشهاد وإقامة الشهادة بأدائها على وجهها من غير تبديل وتغيير ﴿**يوعظ به**﴾ الوعظ زجر يقترن بتخويف ﴿**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**﴾ إذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره ولم يقل ﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ [المجادلة: ٣] كما في سورة المجادلة لتهييج المؤمنين على الغيرة فإن من لا غيرة له لا دين له ومن مقتضى الإيمان بالله مراعاة حقوق المعبودية والربوبية وباليوم الآخر الخوف من الحساب والعذاب والرجاء للفضل والثواب فالمؤمن بهما يستحي من الخالق والخلق فلا يترك العمل بما وعظ به ودلت الآية على أن للإنسان يومين اليوم الأول هو يوم الدنيا واليوم الآخر هو يوم الآخرة واليوم عرفاً زمان طلوع الشمس إلى غروبها وشرعاً زمان طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس وهذان المعنيان ليسا بمرادين هنا وهو ظاهر فيكون المراد مطلق الزمان ليلاً كان أو نهاراً طويلاً كان أو قصيراً وذلك الزمان إما محدود وهو زمان الدنيا المراد باليوم الأول أو غير محدود وهو زمان الآخرة المراد باليوم الآخر الذي لا آخر له لتأخره عن يوم الدنيا وجوزوا أن يكون المراد من اليوم الآخر ما يكون محدوداً أيضاً من وقت النشور إلى أن يستقر الفريقان مقرهما من الجنة والنار فعلى هذا يمكن أن يكونا مستعارين من اليومين المحدودين بالطلوع والغروب اللذين بينهما زمان نوم ورقدة ويراد بما بين ذينك الزمانين زمان القرار في القبور قبل النشور كما قال تعالى حكاية: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢] وعلى هذا يقال ليوم الآخرة غد كما مر في أواخر سورة الحشر قال بعض الكبار: علمك باليقظة بعد النوم، وعلمك بالبعث بعد الموت، والبرزخ واحد غير أن للبرزخ بالجسم تعلقاً في النوم لا يكون بالموت وكما تستيقظ على ما نمت عليه كذلك تبعث على ما مت عليه فهو أمر مستقر فالعاقل يسعى في اليوم المنقطع ليوم لا ينقطع ويحيا على الإيمان والعمل ليكون موته ونشره عليهما ﴿**ومن يتق الله**﴾ في طلاق البدعة فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الإشهاد وغيره من الأمور ﴿**يجعل له مخرجاً**﴾ مصدر ميمي أي: خروجاً وخلاصاً مما عسى يقع في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب وبالفارسية بيرون شدن.

وقال بعضهم: هو عام أي: ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له خروجاً من كل ضيق يشوش البال ويكدر الحال وخلاصاً من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجاً أولياً وعن النبي عليه السلام أنه قرأها فقال: «مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة» وفي «الجلالين» من الشدة إلى الرخاء ومن الحرام إلى الحلال ومن النار إلى الجنة أو اسم مكان بمعنى يخرجه إلى مكان يستريح فيه وفي «فتح الرحمن» يجعل له مخرجاً إلى الرجعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عمن طلق امرأته ثلاثاً أو

ألفاً هل له من مخرج فقال: لم يتق الله فلم يجعل له مخرجاً، بانت منه بثلاث والزيادة إثم في عنقه ويقال المخرج على وجهين أحدهما: أن يخرجه من تلك الشدة والثاني: أن يكرمه بالرضا والصبر فإنه من قبيل العافية أيضاً كما قال عليه السلام: «واسأل الله العافية من كل بلية»، فالعافية على وجهين: أحدهما: أن يسأله أن يعافيه من كل شيء، فيه شدة فإن الشدة إنما يحل أكثرها من أجل الذنوب، فكأنه سأل أن يعافيه من البلاء ويعفو عنه الذنوب التي من أجلها تخل الشدة بالنفس. والثاني: أنه إذا حل به بلاء أن لا يكله إلى نفسه ولا يخذله وأن يكلأه. ويرعاه وفي هذه المرتبة يصير البلاء ولاء والمحنة منحة والمقت مقة والألم لذة والصبر شكراً ولا يتحقق بها إلا الكمل.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾.

﴿ويرزقه﴾ بعد ذلك الجعل ﴿من حيث لا يحتسب﴾ من ابتدائية متعلقة بيرزقه أي: من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه فيوفي المهر ويؤدي الحقوق ويعطي النفقات قال في «عين المعاني» من حيث لا يرتقب من الخان أو يعتد من الحساب.

از سببها بكذر وتقوى طلب   تاخدا روزي رساند بي سبب

حق رجايي بحشدت رزق حلال   كه نباشد در كمان ودر خيال

قال عليه السلام: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها». وعنه عليه السلام، «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب».

وروي: أن عوف بن مالك الأشجعي رحمه الله أسر المشركون ابنه سالماً فأتى رسول الله فقال: أسر ابني وشكا إليه الفاقة فقال عليه السلام: «اتق الله وأكثر لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ففعل فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت».

وقال الكاشفي: عوف بازن خود بقول حضرت عليه السلام عمل نمودند ابدك فرصتي راپسر عوف از أهل شرك خلاص يافته وچهار هزار كوسفند ايشانرا رنده بسلامت بمدينة آمد واين آيت نازل شدكه هركه تقوى ورزد روزي حلال يابد.

وفي «عين المعاني» فأفلت ابنه بأربعة آلاف شاة وبالأمتعة وفي «الجلالين» وأصاب إبلاً لهم وغنماً فساقها إلى أبيه.

آورده اندكه درروز كار خلافت عمر رضي الله عنه مردى بيامد وازعمر توليت عمل خواست تادر ديوان خلافت عامل باشد عمر كفت قرآن داني كفت ندانم كه نيا موخته أم عمر كفت ما عمل بكسي ندهيم كه قرآن نداند مردباز كشت وجهدي وربح عظيم برخود نهاد در تعلم قرآن بطمع آنكه عمر اورا عمل دهد چون قرآن بيا موخت وياد كرفت بركات قرآن وخواندن ودانستن اورا بدان جاي رسانيدكه دردل وي نه حرص ولايت ماندنه تقاضاي دبدار عمر پس روزي عمر اورا ديد كفت يا هذا هجرتنا أي جوانمرد چه افتادكه بيكبار كي هجرت ما اختيار كردي كفت يا أمير المؤمنين تونه ازان مردان باشي كه كسي وادارد كه هجرت تواختيار

كند ليكن قرآن بيامو ختم وچنان توانكردل كشتم كه از خلق واز عمل بي نياز شدم عمر كفت آن كدام آيت است كه ترابدين دركاه بي نيازي دركشيد كفت آن آيت كه درسورة الطلاق است ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾. واعلم أن كل واحد من الضيق والرزق يكون دنيوياً وأخروياً جسمانياً وروحانياً وإن أعسر الضيق ما يكون أخروياً وأوفر الرزق ما يكون روحانياً فمن يتق الله حق التقوى يجعل له مخرجاً من مضار الدارين ويرزقه من منافعهما فإن قيل إن أتقى الأتقياء هم الأنبياء والأولياء مع أن أكثرهم ابتلي بالمشقة الشديدة والفاقة المديدة كما قال عليه السلام: «أشد الناس بلاء الأنبياء والأولياء» ثم الأمثل فالأمثل أجيب بأن أشد الشدة وأمد المدة ما يكون أخروياً وهم مأمونون من ذلك بلطف الله وكرمه ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأما ما أصابهم في الدنيا باختيارهم للأجر الجليل وبغير اختيار للصبر الجميل فله غاية حميدة ومنفعة عظيمة والله عليم حكيم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال بعضهم: شكا إليه عليه السلام، بعض الصحابة الفاقة، فقال عليه السلام: «دم على الطهارة يوسع عليك الرزق فقال: كم من مستديم للطهارة، لا يرتب له كفايته فضلاً عن أن يوسع عليه» ويوجه بأن تخلف الأثر كالتوسيع مثلاً لمانع لا ينافي الاقتضاء أي: اقتضاء العلة لمعلولها وأثرها أما عند القائلين بتخصيص العلة فظاهر وأما عند غيرهم فيجعل عدم المانع جزء العلة ومن المانع الغفلة وغلبة بعض الجنايات وعند غلبة أحد الضدين لا يبقى للآخر تأثير.

يقول الفقير: والذي يقع في قلبي أن أصحاب الطهارة الدائمة مرزوقون بأنواع الرزق المعنوي والغذاء الروحاني من العلوم والمعارف والحكم والحقائق والتضييق لبعضهم في الرزق الصوري والغذاء الجسماني إنما هو لتطبيق الفقر الظاهر بالباطن والفقر الباطن هو الغنى المطلق لقوله عليه السلام اللهم أغنني بالافتقار إليك فأصحاب الطهارة الدائمة مرزوقون أبداً إما ظاهراً وباطناً معاً وإما باطناً فقط على أن لأهلها مراتب من حيث البداية والنهاية ولن ترى من أهل النهاية محروماً من الرزق مطلقاً إلا نادراً والله الغني وفي «التأويلات النجمية» ومن يتق الله أي: يجعل ذاته المطلقة جنة ذاته وصفاته وأفعاله تعالى جنة أفعاله بإضافة الأشياء كلها خلقاً وإيجاداً إلى ذاته وصفاته وأفعاله يجعل له مخرجاً من مضايق ذاته وصفاته وأفعاله إلى وسائع ذاته وصفاته وأفعاله ويرزقه من حيث لا يحتسب من فيض اسمه الوهاب على طريق الوهب لا على طريق الكسب والاجتهاد ﴿ومن يتوكل على الله﴾ التوكل سكون القلب في كل موجود ومفقود وقطع القلب عن كل علاقة والتعلق بالله في جميع الأحوال ﴿فهو﴾ أي الله تعالى ﴿حسبه﴾ بمعنى محسب أي: كاف يعني كافي المتوكل في جميع أموره ومعطيه حتى يقول حسبي فإن قلت إذا كان حكم الله في الرزق لا يتغير فما معنى التوكل قلت معناه أن المتوكل يكون فارغ القلب ساكن الجأش غير كاره لحكم الله فلهذا كان التوكل محموداً قال عليه السلام: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»، ومعناه تذهب أول النهار خماصاً أي: ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطاناً أي: ممتلئة البطون وليس في الحديث دلالة على القعود على الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق وهو قوله تغدو تروح وإنما التوكل بعد الحركة في أمر المعاش كتوكل الزارع بعد إلقاء الحب في الأرض وكان السلف يقولون: اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلاً في جماعة جنازة فقالوا له: اذهب إلى دكانك وفي «المثنوي»:

كر توكل ميكني دركاركن كشت كن پس تكيه بر جباركن
رمز الكاسب حبيب الله شنو از توكل درسبب كاهل مشو

وأما الذين قعدوا عن الحركة والكسب وهم الكمل فطريقتهم صعبة لا يسلكها كل ضامر في الدين، ودل الحديث المذكور على أن التوكل الحقيقي أن لا يرجع المتوكل إلى رزق معين وغذاء موظف كالطير، حتى لا ينتقض التوكل، اللهم إلا أن يكون من الكمل فإن المعين وغيره سواء عندهم لتعلق قلوبهم بالله لا بغيره وفي «التأويلات النجمية»: ومن يتوكل في رزق نفسه من الأحكام الشرعية وفي رزق قلبه من الواردات القلبية، وفي رزق روحه من العطايا والمنح الإلهية الروحانية، فالله الاسم الأعظم حسبه من حيث الأسماء الكافية أو التوكل نفسه حسبه فيكون الضمير راجعاً إلى التوكل ﴿إن الله بالغ أمره﴾ بالإضافة أي: منفذ أمره ومتم مراده وممضي قضائه في خلقه فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه إلا من توكل عليه، يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، وفي «التأويلات النجمية»: إن الله بالغ أمره في كل مأمور بما هو منتهاه وأقصاه وقرىء بتنوين بالغ ونصب أمره أي: يبلغ ما يريد، ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب.

كما قال الكاشفي: رساننده است كار خودرا بهر چاخواهد يعني آنچه مراد حق سبحانه باشد از وفوت نشود.

وقرىء بالغ أمره على الفاعلية أي: نافذ أمره وفي «القاموس» أمر الله بلغ أي بالغ نافذ يبلغ أين أريد به ﴿قد جعل الله لكل شيء﴾ من الشدة والرخاء والفقر والغنى والموت والحياة ونحو ذلك ﴿قدراً﴾ أي: تقديراً متعلقاً بنفس ذاته وبزمانه وقومه، وبجميع كيفياته وأوصافه وإنه بالغ ذلك المقدر على حسب ما قدره وبالفارسية اندازه كه ازان درنكذرداو.

مقداراً وحداً معيناً أو وقتاً وأجلاً ونهاية ينتهي إليه لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه ولا يتأتى تغييره يعني بامقداري از زمانكه پيش وپس نيفتد. وفي «التأويلات النجمية»: أي: رتبة وكما لا يليق بذلك الشيء، وقال القاشاني: ومن يتوكل على الله، بقطع النظر عن الوسائط والانقطاع إليه من الوسائل، فهو كافيه يوصل إليه ما قدر له ويسوق إليه ما قسم لأجله من أنصبة الدنيا والآخرة، إن الله يبلغ ما أراد من أمره لا مانع له ولا عائق فمن تيقن ذلك ما خاف أحداً ولا رجا وفوض أمره إليه ونجا قد عين الله لكل أمر حداً معيناً ووقتاً معيناً في الأزل لا يزيد بسعي ساع ولا ينتقص بمنع مانع وتقصير مقصر، ولا يتأخر عن وقته ولا يتقدم عليه، والمتيقن لهذا الشاهد له متوكل بالحقيقة. انتهى.

وفي «المفردات» تقدير الله الأشياء على وجهين: أحدهما: بإعطاء القدرة، والثاني: أن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة وذلك أن فعل الله ضربان ضرب أوجده بالفعل ومعنى إيجاده بالفعل أنه أبدعه كاملاً دفعة لا يعتريه الكون والفساد إلى أن يشاء أن يغنيه أو يبدله كالسماوات وما فيها ومنه ما جعل أصوله موجودة بالفعل وأجزائه بالقوة وقدره على وجه لا يتأتى غير ما قدر فيه كتقديره في النواة أن ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون وتقدير مني الآدمي أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوان فتقدير الله على وجهين أحدهما بالحكم منه أن يكون كذا ولا يكون كذا إما على سبيل الوجوب، وإما على سبيل الإمكان وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ والثاني: بإعطاء القدرة عليه. انتهى.

والآية بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقدير الله وتوقيته. لا يبقى إلا التسليم للقدر والتوكل.

قال الكاشفي: بناي اين آيت برتقوى وتوكلست تقوى نفخة بوستان قربست واز رتبة معيت خبر دهدكه إن الله مع الذين اتقوا وتوكل رائحة كلزار كفايتست واز بوي ريحان محبت رسدكه إن الله يحب المتوكلين وبي أين دوصفت قدم در طريق تحقيق نتوان نهاد.

سلوك راه معنى راتوكل بايد وتقوى توكل مركب راهست وتقوى توشة رهرو

قال سهل قدس سره: لا يصح التوكل إلا للمتقين ولا تتم التقوى إلا بالتوكل ولذلك قرن الله بينهما فقال: ﴿ومن يتق الله﴾ إلخ وقال بعضهم: من تحقق في التقوى هون الله على قلبه الإعراض عن الدنيا ويسر له أمره في الإقبال عليه والتزين بخدمته وجعله إماماً لخلقه يقتدي به أهل الإرادة فيحملهم على أوضح السنن، وأوضح المناهج وهو الإعراض عن الدنيا والإقبال على الله تعالى وذلك منزلة المتقين وقال سهل رحمه الله: من يكل أموره إلى ربه فإن الله يكفيه هم الدارين أجمع قال الربيع رحمه الله: إن الله قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به أنجاه ومن دعاه أتاه وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم أجيب دعوة الداع إذا دعان.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾

﴿واللائي﴾ من الموصولات جمع التي يعني آن زنان كه ﴿يئسن من المحيض من نسائكم﴾ اللاتي دخلتم بهن لكبرهن ويبسهن وقدروه بستين سنة وبخمس وخمسين فلو رأته بعد ذلك لا يكون حيضاً قوله: ﴿يئسن﴾ فعل ماض واليأس القنوط ضد الرجاء يقال: يئس من مراده ييأس يأساً وفي معناه أيس يأيس يأساً وإياساً لا أيساً وفاعلهما آيس لا يائس يقال: امرأة آيس إذا كان يأسها من الحيض دون آيسة لأن التاء إنما زيدت في المؤنث إذا استعملت الكلمة للمذكر أيضاً فرقاً بينهما وإذا لم تستعمل له فأي حاجة إلى الزيادة ومن ذلك يقال: امرأة حائض وطالق وحامل بلا تاء إذا كان حملها من الولد وأما إذا كان يأسها وحملها من غير الحيض وحمل الولد يقال آيسة وحاملة وفي «المغرب» اليأس انقطاع الرجاء وأما الإياس في مصدر الآيسة من الحيض فهو في الأصل ائياس على إفعال حذفت منه الهمزة التي هي عين الكلمة تخفيفاً والمحيض الحيض وهو في اللغة مصدر حاضت الأنثى، فهي حائض وحائضة أي خرج الدم من قبلها ويكون للأرنب والضبع والخفاش كما ذكره الجاحظ وفي «القاموس»: حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً ومحاضاً فهي حائض وحائضاً من حوائض وحيض سال دمها والمحيض اسم ومصدر قيل ومنه الحوض لأن الماء يسيل إليه والحيضة المرة انتهى. وفي الشرع دم ينفضه رحم امرأة بالغة لاداء بها ولا إياس لها أي: يجعلها الشارع منقطعة الرجاء عن رؤية الدم ومن الأولى لابتداء الغاية ومتعلقة بالفعل قبلها والثانية للتبيين ومتعلقة بمحذوف ﴿إن ارتبتم﴾ من الارتياب بالفارسية بشك شدن.

أي: شككتم وأشكل عليكم حكمهن لانقطاع دمهن بكبر السن وجهلتم كيف عدتهن ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر﴾ فقوله ﴿واللائي يئسن﴾ إلخ مبتدأ خبره فعدتهن وقوله ﴿إن ارتبتم﴾ اعتراض وجواب الشرط محذوف أي ارتبتم فيها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر كذا قالوا والأشهر جمع شهر وهو مدة معروفة مشهورة بإهلال الهلال أو باعتبار جزء من اثني عشر جزءاً من دوران الشمس من نقطة إلى تلك النقطة قال في «القاموس»: الشهر العدد المعروف من الأيام لأنه يشهر بالقمر ﴿واللائي﴾ وآن زنان كه ﴿لم يحضن﴾ أي: ما رأين الدم لصغرهن أي فعدتهن أيضاً كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه والشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها بعذر من الأعذار قبل بلوغها سن الآيسات فعند أبي حنيفة والشافعي لا تنقضي عدتها حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء أو تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر وضع السجاوندي الطاء الدالة على الوقف المطلق على وضعه وقانونه في لم يحضن لانقطاعه عما بعده وكان الظاهر أن يضع الميم الدالة على اللازم لأن المتبادر الاتصال الموهم معنى فاسداً لعله نظر إلى ظهور عدم حمل التي لم تحض لصغرها ﴿وأولات الأحمال﴾ واحدتها ذات بمعنى صاحبة والأحمال جمع حمل بالفتح بالفارسية بار.

والمراد الحبل أي: الثقل المحمول في الباطن وهو الولد في البطن والمعنى وذوات الأحمال من النساء والحبالى منهن ﴿أجلهن﴾ أي: منتهى عدتهن ﴿أن يضعن حملهن﴾ سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن فلو وضعت المرأة حملها أي: ولدت وحطت ما في بطنها يعني ازبالا بزير آورد.

بعد طلاق الزوج أو وفاته بلحظة انقضت عدتها وحلت للأزواج فكيف بعد ساعة أو يوم أو شهر وقد نسخ به عموم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] لتراخي نزوله عن ذلك وقد صح أن سبيعة بنت الحارث الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام، فقال: قد حللت فتزوجي ﴿ومن يتق الله﴾ في شأن أحكامه وحقوقه ﴿يجعل له من أمره يسراً﴾ أي: يسهل عليه أمره ويوفقه للخير ويعصمه من المعاصي والشر بسبب التقوى فمن للبيان قدم على المبين للفواصل أو بمعنى في ﴿ذلك﴾ المذكور من الأحكام وإفراد الكاف مع أن الخطاب للجمع كما يفصح عنه ما بعده لما أنها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين ﴿أمر الله﴾ حكمه الشرعي ﴿أنزله﴾ من اللوح المحفوظ ﴿إليكم﴾ إلى جانبكم، وقال أبو الليث: أنزله في القرآن على نبيكم لتستعدوا للعمل به فإياكم ومخالفته ﴿ومن يتق الله﴾ بالمحافظة على أحكامه ﴿يكفر عنه سيئاته﴾ يسترها لرضاه عنه بإتقانه، وبالفارسية بپوشد خداي تعالى از وبديهاي ويرا.

وربما يبدلها حسنات ﴿ويعظم له أجراً﴾ بالمضاعفة وبالفارسية وبزرك ساز دبراي او مزدرا يعني اورامزد زياده دهددر آخرت.

قال بعضهم: يعطيه أجراً عظيماً أي أجر كان ولذلك نكر فالتنكير للتعميم المنبىء عن التميم قال في «برهان القرآن»: أمر بالتقوى في أحكام الطلاق ثلاث مرات وعد في كل مرة نوعاً من الجزاء فقال أولاً يجعل له مخرجاً يخرجه مما دخل فيه وهو يكرهه ويهيىء له محبوبه من حيث لا يأمل وقال في الثاني: يسهل عليه الصعب من أمره ويفتح له خيراً ممن طلقها

والثالث: وعد عليه الجزاء بأفضل الجزاء وهو ما يكون في الآخرة من النعماء.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾.

﴿أسكنوهن من حيث سكنتم﴾ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن **﴿من حيث سكنتم﴾** أي بعض مكان سكناكم والخطاب للمؤمنين المطلقين **﴿من وجدكم﴾** أي: من وسعكم أي مما تطيقونه يعني مسكن ايشان بقدر طاقت وتواناي خويش سازيد والوجد القدرة والغنى يقال: افتقر فلان بعد وجده وهو عطف بيان لقوله **﴿من حيث سكنتم﴾** وتفسير له وفي «عين المعاني»: ومن لتبيين الجنس لما في حيث من الإبهام انتهى. واعترض عليه أبو حيان بأنه لم يعهد في عطف البيان إعادة العامل إنما عهد ذلك في البدل فالوجه جعله بدلاً قال قتادة: إن لم يكن إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه. قال صاحب «اللباب»: إن كانت الدار التي طلقها فيها ملكه يجب عليه أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وإن كانت بإجارة فعليه الأجرة وإن كانت عارية فرجع المعير فعليه أن يكتري لها داراً تسكنها قال في «كشف الأسرار» وأما المعتدة من وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملاً **﴿ولا تضاروهن﴾** أي: ولا تقصدوا عليهن الضرر فى السكنى بأي وجه كان فإن المفاعلة قد لا تكون للمشاركة وبالفارسية ورنج مرسانيد مطلقات را **﴿لتضيقوا عليهن﴾** في المسكن بعض الأسباب من إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك وتلجئوهن إلى الخروج وبالفارسية براي آنكه تنك كردانيد برايشان مساكن ايشان.

وفيه حث المروءة والمرحمة ودلالة على رعاية الحق السابق حتى يتيسر لها التدارك في أمر المعيشة من تزوج آخر أو غيره **﴿وإن كن﴾** أي المطلقات **﴿أولات حمل﴾** ذوات حبل وبالفارسية خدا وتدبار.

يعني حاملة وأولات منسوب بالكسر على قانون جمع المؤنث وتنوين حمل للتعميم يعني أي: حمل كان قريب الوضع أو بعيده **﴿فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾** فيخرجن من العدة وتتخلصوا من كلفة الإحصاء ويحل لهن تزوج غيركم اياشئن فالبائن بالطلاق إذا كانت حاملاً لها النفقة والسكنى بالاتفاق وأما البائن الحائل أي: غير الحامل فتستحق النفقة والسكنى عند أبي حنيفة كالحامل إلى أن تنقضي عدتها بالحيض أو بالأشهر خلافاً للثلاثة وأما المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن من التركة ولا سكنى بل تعتد حيث تشاء وإن كن أولات حمل لوقوع الإجماع على أن من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذا المتوفى عنها الحامل وهو قول الأكثرين قال أبو حنيفة: تجب النفقة والسكنى لكل مطلقة سواء كانت مطلقة بثلاث أو واحدة رجعية أو بائنة ما دامت في العدة، أما المطلقة الرجعية فلأنها منكوحة كما كانت وإنما يزول النكاح بمضي العدة وكونه في معرض الزوال بمضي العدة لا يسقط نفقتها كما لو آلى وعلق طلاقها بمضي شهر فالمطلقة الرجعية لها النفقة والسكنى بالإجماع وأما المبتوتة فعندنا لها النفقة والسكنى ما دامت في العدة لقوله

تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾ إذا المعنى أسكنوا المعتدات مكاناً من المواضع التي تسكنونها وأنفقوا عليهن في العدة من سعتكم لما قرأ ابن مسعود رضي الله عنه أسكنوهن من حيث سكنتم وأنفقوا عليهن من وجدكم وعند الشافعي لها السكنى لهذه الآية ولا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً لقوله تعالى: ﴿وإن كن أولات حمل﴾ الخ فإن قلت: فإذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله ﴿وإن كن أولات حمل﴾ الخ قلت: فائدته أن مدة الحمل ربما طالت فظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم كما في «الكشاف» ﴿فإن أرضعن لكم﴾ الرضاع لغة شرب اللبن من الضرع أو الثدي وشريعة شرب الطفل حقيقة أو حكماً للبن خالص أو مختلط غالباً من آدمية في وقت مخصوص والإرضاع شيردادن يعني هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولداً من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية وعلاقة النكاح قال لكم ولم يقل أولادكم لما قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فالأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئراً إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك، ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة معتدة من نكاح ﴿فآتوهن أجورهن﴾، على الإرضاع إن طلبن أجورهن فإن حكمهن في ذلك حكم الاظآر حينئذٍ، قال في «اللباب»: فإن طلقها فلا يجب عليها الإرضاع إلا أن لا يقبل الولد ثدي غيرها فيلزمها حينئذٍ فإن اختلفا في الأجرة، فإن دعت إلى أجرة المثل وامتنع الأب إلا تبرعاً فالأم أولى بأجر المثل إذ لا يجد الأب متبرعة وإن دعا الأب إلى أجر المثل وامتنعت الأم لتطلب شططاً فالأب أولى به فإن أعسر الأب بأجرتها أجبرت على إرضاع ولدها انتهى.

إن قيل إن الولد للأب فلم لا يتبعه في الحرية والرقبة بل يتبع الأم لأنها إذا كانت ملكاً لغير الأب كان الولد ملكاً له وإن كان الأب حراً وإذا كانت حرة كان الولد حراً وإن كان الأب رقيقاً أجيب بأن الفقهاء قالوا في وجهه رجح ماء الأم على ماء الأب في الملكية لأن ماءها مستقر في موضع وماء الأب غير معلوم أفادت هذه المسألة أن المالكية تغلب الوالدية والتحقيق أن الأحكام شرعية لا عقلية والعلم عند شارعها يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿وائتمروا﴾ أيها الآباء والأمهات ﴿بينكم﴾ ميان يكدكر دركار فرزند ﴿بمعروف﴾ أي: تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضاً بجميل في الإرضاع والأجر وهو المسامحة ولا يكن من الأب مماكسة ولا من الأم معاسرة لأنه ولدهما معاً وهما شريكان فيه في وجوب الإشفاق عليه فالائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضاً يعني الافتعال قد يكون بمعنى التفاعل وهذا منه ﴿وإن تعاسرتم﴾ يقال تعاسر القوم إذا تحروا تعسير الأمر أي: تضايقتم وبالفارسية واكر دشوار كنيد ومضايقه نماييد أي پدر ومادر رضاع ومزد دادن يعني شوهر از أجرا باكند يازن شيرندهد ﴿فسترضع له﴾ أي: للأب كما في «الكشاف» وهو الموافق لقوله فإن أرضعن لكم أو للصبي والولد كما في «الجلالين» و«تفسير الكاشفي» ونحوهما وفيه أن الظاهر حينئذٍ أن يقول فسترضعه ﴿أخرى﴾ أي: فستوجد ولا تعوز مرضعة أخرى غير الأم ترضعه يعني مرددايه كيرد براي رضيع خود ومادررا باكراه واجبار نفر مايد.

وفيه معاتبة للأم على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد أن تبق غير مقضية فأنت ملوم قال سعدي المفتي: ولا يخلو عن معاتبة الأب أيضاً حيث

أسقط في الجواب عن حيز شرف الخطاب مع الإشارة إلى أنه إن ضويقت الأم في الأجر فامتنعت من الإرضاع لذلك فلا بد من إرضاع امرأة أخرى وهي أيضاً تطلب الأجر في الأغلب الأكثر والأم أشفق وأحن فهي به أولى وبما ذكرنا يظهر كمال الارتباط بين الشرط والجزاء.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾

﴿**لينفق**﴾ لام الأمر ﴿**ذو سعة**﴾ خداوند فراخي وتوانكري ﴿**من سعته**﴾ ازغناي خود يعني بقدر تواناي خويش بر مطلقه ومرضعة نفقة كنيد.

ومن متعلقة بقوله لينفق ﴿**ومن قدر عليه رزقه**﴾ أي: ضيق وكان بمقدار القوت وبالفارسية وهركه تنك كرده شده است برو روزي أو يعني فقير وتنكدست است.

ومن هذا المعنى اشتق الأقدر أي القصير العنق وفرس أقدر يضع حافر رجله موضع حافر يده وقوله تعالى: ﴿**وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ**﴾ [البقرة: ٢٣٦] أي: ما يليق بحاله مقدراً عليه ﴿**فلينفق مما آتاه الله**﴾ وإن قل أي: لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه ويطيقه ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها**﴾ من المال جل أو قل فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وبالفارسية وتكليف نفر مايد خداي تعالى هيج تني رامكر آنچه بدو عطا كرده است ازمال يعني تكليف ما لا يطاق نفر ما يد.

وقد أكد ذلك بالوعد حيث قال: ﴿**سيجعل الله بعد عسر يسراً**﴾ أي: عاجلاً أو آجلاً إذ ليس في السين دلالة على تعين زمان وكل آت قريب ولو كان الآخرة، وبالفارسية زود باشدكه بديد آرد خداي تعالى بعد ازدشواري وتنكدستي آساني وتوانكري.

فلينتظر المعسر اليسر وفرج الله فإن الانتظار عبادة وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده ووعد لفقراء الأزواج لا لفقراء ذلك الوقت عموماً كما جوزه الزمخشري حيث قال: موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الأزواج إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا.

يقول الفقير: لا بعد في ذلك من حيث أن القرآن ليس بمحصور ولا التفات في مثل هذا المقام إلى سوق الكلام قال البقلي: سيجعل الله بعد ضيق الصدر من الاهتمام بالرزق وإنفاقه سعة الصدر ويسر السخاء والطمأنينة والرضا بالله وأيضاً سيجعل الله بعد عسر الحجاب للمشتاقين يسر كشف النقاب وفي «التأويلات النجمية» يعني: كل ذي سعة مأمور بإنفاق ما يقدر على إنفاقه فالخفي المنفق عليه من جانب الحق ينفق على الروح من سعته والروح ينفق على السر من سعته والصدر ينفق على القلب من سعته والقلب ينفق على النفس من سعته والنفس ينفق على الصدر من سعته والصدر ينفق على الجسم من سعته ومن قدر عليه رزقه من الفيوض الإلهية فلينفق مما آتاه الله بحسب استعداده ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها**﴾ في استعدادها الأزلي، وقابليتها الغيبية، سيجعل الله بعد عسر انقطاع الفيض يسر اتصال الفيض ﴿**وكأين من قرية**﴾ بمعنى كم الخبرية في كونها للتكثير والقرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس والمعنى وكثير من أهل قرية وبالفارسية وبسيار ازاهل ديهي وشهري.

فهو من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ثم وصفه بصفته أو من المجاز العقلي والإسناد إلى المكان وهذه الآية تحذير للناس عن المخالفة في الأحكام المذكورة وتأكيد لإيجابها عليهم﴿**عتت عن أمر ربها ورسله**﴾ قال في «المفردات»: العتو النبو عن الطاعة وفي «القاموس» عتا عتواً وعتياً وعتياً استكبر وجاوز الحد فهو عات وعتى انتهى. والعتو لا يتعدى بعن وإنما عدي بها لتضمينه معنى الإعراض كأنه قيل أعرضت عن أمر بها وأمر رسل ربها بسبب التجاوز عن الحد في التكبر والعناد وفي إيراده صفة الرب توبيخ لهم وتجهيل لما أن عصيان العبيد لربهم ومولاهم طغيان وجهل بشأن سيدهم ومالكهم وبمرتبة أنفسهم ودوام احتياجهم إليه في التربية قوله ﴿**وكأين**﴾ مبتدأ ومن قرية بيان له وعتت خبر المبتدأ ﴿**فحاسبناها حساباً شديداً**﴾ أي: ناقشناها في الحساب وضيقنا وشددنا عليها في الدنيا وأخذناها بدقائق ذنوبها وجرائمها من غير عفو بنحو القحط والجوع والأمراض والأوجاع والسيف وتسليط الأعداء عليها وغير ذلك من البلايا مقدماً معجلاً على استئصالها وذوقها العذاب الأكبر لترجع إلى الله تعالى، لأن البلاء كالسوط للسوق فلم تفعل ولم ترفع رأساً، فابتلاها الله بما فوق ذلك كما قال: ﴿**وعذبناها عذاباً نكراً**﴾أي نكراً عظيماً هائلاً متنفراً عنه بالطبع لشدته وإيلامه أو غير متوقع فإنهم كانوا لا يتوقعونه ولو قيل لهم لما يصدقونه والقهر الغير المتوقع أشد ألماً واللطف الغير المتوقع أتم لذة وبالفارسية وعذاب كرديم ايشانرا عذابي جنانكه نديده بودند ونشناخته.

وهو العذاب العاجل بالاستئصال بنحو الإغراق والإحراق والريح والصيحة فالنكر الأمر الصعب الذي لا يعرف والإنكار ضد العرفان.

يقول الفقير: أضاف الله المحاسبة والتعذيب إلى نفسه مع أن سببهما كان العتو عن أمره وأمر رسله لأن الرسل كانوا فانين في الله فاتخذوا الله وكيلاً في جميع أمورهم وتركوا التصرف والتعرض للقهر ونحوه وذلك أنهم قد بعثوا بعد رسوخهم ولهذا صبروا على تكذيب أممهم لهم ولو بعثوا قبل الرسوخ ربما بطشوا بمن كذبهم وأهلكوه وقس عليهم أحوال الكمل من الأولياء.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾.

﴿**فذاقت**﴾ پس بچشيدند اهل آن ديه ﴿**وبال أمرها**﴾ أي: ضرر كفرها وثقل عقوبة معاصيها أي: أحسته إحساس الذائق المطعوم ﴿**وكان عاقبة أمرها خسراً**﴾ هائلاً لا خسر وراءه يعني زيانكاري وكدام زيان ازان بدتركه ازحيات ومنافع آن محروم شدند وبعقوبات مبتلى كشتند.

فتجارتهم خسارة لا ربح فيها لتضييعهم بضاعة العمر والصحة والفراغ بصرفها في المخالفات، قال في «المفردات»: الخسر والخسران انتقاص رأس المال وينسب إلى الإنسان فيقال خسر فلان وإلى الفعل فيقال خسرت تجارته ويستعمل ذلك في القنيات الخارجية كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر وفي النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب وفي الآية إشارة إلى أهل قرية الوجود الإنساني وهو النفس والهوى وسائر القوى فإنها أعرضت عن حكم

الروح فلم تدخل في حكم الشريعة وكذا عن متابعة أمر القلب والسر والخفي فعذبت بعذاب الحجاب واستهلكت في بحر الدنيا وشهواتها ولذاتها وكان عاقبة أمرها خسران الضلالة ونيران الجهالة ﴿**أعد الله لهم**﴾ مع ذلك في الآخرة ولام لهم لام التخصيص لا لام النفع كما في قولهم دعا له في مقابلة دعا عليه ﴿**عذاباً شديداً**﴾ أي: قدره في علمه على حسب حكمته أو هيأ أسبابه في جهنم بحيث لا يوصف كنهه فهم أهل الحساب والعذاب في الدنيا والآخرة لا في الدنيا فقط فإن ما أصابهم، في الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم لعدم رجوعهم عن الكفر فعذبوا بعذاب الآخرة أيضاً، وهذا المعنى من قوله ﴿**فحاسبناها**﴾ إلى هنا هو اللائق بالنظم الكريم هكذا ألهمت به حين المطالعة ثم وجدت في «تفسير الكواشي» و«كشف الأسرار» و«أبي الليث» و«الأسئلة المقحمة» ما يدل على ذلك والحمد لله تعالى فلا حاجة إلى أن يقال فيه تقديماً وتأخيراً وأن المعنى إنا عذبناها عذاباً شديداً في الدنيا ونحاسبها حساباً شديداً في الآخرة على أن لفظ الماضي للتحقيق كأكثر ألفاظ القيامة فإن فيه وفي نحوه تكلفاً بيناً على ما ارتكبه من يعد من أجلاء المفسرين ودل قوله في الأثر «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» على أن المحاسبة عامة لما في الدارين وأن المراد بها في بعض المواضع هو التضييق والتشديد مطلقاً ﴿**فاتقوا الله يا أولي الألباب**﴾ أي: اعتبروا بحال الأمم الماضين من المنكرين المعاندين وما نزل بهم من العذاب، والوبال فاتقوا الله أوامره ونواهيه إن خلصت عقولكم من شوب الوهم فإن اللب هو العقل الخالص من شوائب الوهم وذلك بخلوص القلب من شوائب صفات النفس والرجوع إلى الفطرة الأولى وإذا خلص العقل من الوهم والقلب من النفس كان الإيمان يقينياً فلذلك وصفهم بقوله: ﴿**الذين آمنوا**﴾ أي: الإيمان التحقيقي اليقيني العياني الشهودي وفيه إشارة إلى أن منشأ التقوى هو الخلوص المذكور ولا ينافي ذلك زيادة الخلوص بالتقوى فكم من شي يكون سبباً لأصل شيء آخر ويكون سبباً في زيادته وقوته على ذلك الآخر وبكمال التقوى يحصل الخروج من قشر الوجود المجازي والدخول في لب الوجود الحقيقي والاتصاف بالإيمان العياني قال بعضهم: الذين آمنوا حقاً وصدقاً ويجوز أن يكون صفة كاشفة لا مقيدة فإنه لا يليق أن يعد غير المؤمنين من أولي الألباب اللهم إلا أن يراد باللب العقل العاري عن الضعف، بأي وجه كان من البلادة والبله والجنون وغيرها فتخصيص الأمر بالتقوى بالمؤمنين من بينهم لأنهم المنتفعون انتهى. والظاهر أن قوله ﴿**الذين آمنوا**﴾ مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿**قد أنزل الله إليكم**﴾ والخطاب من قبيل الالتفات ﴿**ذكراً**﴾ هو النبي عليه السلام كما بينه بأن أبدل منه قوله ﴿**رسولاً**﴾ وعبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه والتذكير به وعبر عن إرساله بالإنزال بطريق الترشيح أي: للتجوز فيه عليه السلام بالذكر أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه يعني: أن رسول الله شبه بالذكر الذي هو القرآن لشدة ملابسته به فأطلق عليه اسم المشبه به استعارة تصريحية وقرن به ما يلائم المستعار منه وهو الإنزال ترشيحاً لها أو مجازاً مرسلاً من قبيل إطلاق اسم السبب على المسبب فإن إنزال الوحي إليه عليه السلام، سبب لإرساله وقال بعضهم: إن التقدير ﴿**قد أنزل الله إليكم ذكراً**﴾ يعني: القرآن وأرسل إليكم رسولاً يعني: محمداً عليه السلام لكن الإيجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول وقد دل عليه القرينة وهو قوله أنزل نظيره قوله علفتها تبناً وماء بارداً أي: وسقيتها ماء بارداً فيكون الوقف في ذكراً تاماً بخلافه، إذا كان بدلاً وقال القاشاني: قد أنزل الله إليكم ذكراً أي: فرقاناً مشتملاً على ذكر



































































































































































































































































































